الفعل المضارع

بين الشمول والاستمرار

والمضى ، والحال ، والاستقبال

بقلم الدكتور

عبد المنعم أحمد هريدى

الأستاذ المساعد للغويات بالكلية

تقـــديم

من المعروف أن الفعل المضارع يصلح للدلالة علي الحال والاستقبال فى أساس الوضع .

فالفعل (يقوم) مثلا يدل علي القيام فى الوقت الحاضر ، والقيـام فى الزمن المستقبل علي السواء ، والفعل المضارع ـ من حيث هو ـ حدث مبهم فى هذين الزمانين صالح لإرادة أحدهما إلا إذا وجد معه مايخلصه إلي واحد منهما ويخصصه به .

وشبيه بهذا أنه إذا قال قائل : (رأيت رجلا) انصرف «رجل» لواحد من أفراد هـــذا الجنس مبهم فيهم غير متعين ، فاذا ماقال القائل : (رأيت الرجل فأدخل الألف واللام علي الواحد المبهم قصره علي واحد بعينه .

كذلك فانه إذا قيل مثلا (سعد يقوم) صلح القيام لزمانى الحـال والاستقبال وهو مبهم فيهما ، فاذا ماقيل : (سعد سيقوم أو سوف يقوم) صار الحدث المدلول عليه بـ « يقوم » مستقبلا لاغير بعد دخـول السين وسوف عليه .

وقد ذهب الدكتور / أوتوجسبرسن فى كتابه « أصول الأجرومية الإنجليزية » إلي إنكار الزمن الحاضر فقال :

« إن لنا على الأصح أن نقول : إن الزمن ينقسم إلي جزأين : ماض ومستقبل وبينهما حد الانفصال وقت حاضر كأنه النقطة الهندسية التي لاطول لها ولا عرض ولاارتفاع ، ولكنها على الدوام منسوبة إلي المستقبل » .

وقد سبقه إلى مناقشة هذا الموضوع العلامة موفق الدين يعيش بن يعيش في شرحه على المفصل حيث قال [١] .

«لما كانت الأفعال مساوقة للزمان والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده ، وتنعدم عند عدمه إنقسمت بأقسام الزمان .

ولما كان الزمان ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل ، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك ، فمنها حركة مضت ومنها حركة لم تأت بعد ، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية كانت الأفعال كذلك : ماض ومستقبل وحاضر .

فالماضي ما عدم بعد وجوده ، فيقع الإخبار عنه في زمان بعد زمان وجوده وهو المراد بقول الزمخشري « الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك [٢] » أي : قبل زمان إخبارك .

ويريد الزمخشري بالاقتران : وقت وجود الحدث لا وقت الحديث عنه ، ولولا ذلك لكان الحد الذي وضعه للماضي فاسداً .

والمستقبل ما لم يكن له وجود أثناء التكلم ، بل يكون زمان الإخبار عنه قبل زمان وجوده .

وأما الحاضر فهو الذي يصل إليه المستقبل ، ويسري منه الماضي فيكون زمان الإخبار عنه هو زمان وجوده .

---

١ — شرح المفصل ٧ / ٤ .

٢ — المفصل للزمخشري ص ٢٤٤ .

فالنقطة التى ينتهى عندها الزمان الماضى هى بداية الزمان المستقبل ، ومن ثم يكون الحاضر برهة لطيفة رهيفة لا يمكن تحديدها .

وإذا كان ذلك كذلك كانت دلالة المضارع على المستقبل تبدأ بانتهاء اللفظ به . قال ابن يعيش [١] .

« وقد أنكر بعض المتكلمين فعل الحال وقال: إن كان قد وجد فيكون ماضيا وإلا فهو مستقبل ، وليس ثم ثالث » .

ويكاد النحاة العرب يجمعون على وجود الزمان الحاضر ، ويطلقون عليه لفظ (الحال) ويدور حده عندهم حول وقت التكلم ، وهو وقت يتفاوت فى الطول والقصر بقدر الأحرف والحركات والسكنات التي تتضمنها بنية الفعل المتكلم به .

ومقصود النحويين أن الحال : ماقارن وجود لفظه لوجود جزء من معناه فاذا ما قال قائل : (هذا زيد يكتب) فان (يكتب) هنا مضارع بمعنى الحال ووجود لفظه مقارن لوجود بعض الكتابة لا جميعها ، وعبر بالحال عن اللفظ الدال على الجميع لاتصال أجزاء الكتابة بعضها ببعض ، لأن أجزاءها المستقبلة امتداد لجزئها المقارن .

ولما كان بعض مدلول المضارع المسمى حالا مستأنفة الوجود أشبه المستقبل المحض فى استئناف الوجود فاشتركا فى صيغة المضارع اشتراكا وضعيا ، لأن إطلاقه على كل واحد منهما لا يتوقف على مسوغ من خارج اللفظ.

---

١ – شرح ابن يعيش على المفصل ٤/٧ .

بخلاف إطلاق المضارع مراداً به المضى ، وإطلاق الماضى مراداً به الإستقبال فان ذلك يتوقف على مسوغ من الخارج نحو : (لو تقوم أمس لقمت معك) و (إن قمت غداً قمت معك) .

فلولا (لو) و (إن) ماساغ إعمال (تقوم) فى (أمس) . ولا (قمت) فى (غداً) .

ويترجح دلالة المضارع على الحال مع التجريد من العوامل المرجحة للاستقبال أو القالبة زمنه للمضى ، وتتعين عند الأكثر بمصاحبته الآن وماف معناه وبلام لابتداء وبنفيه بـ « ليس » و « ما » و « إن » .

ويتخلص للاستقبال بظرف مستقبل ، وباسناده الى متوقع وبأقتضائه طلبا أو وعداً وبمصاحبة ناصب أو أداة ترج أو إشفاق أو مجازاة ، أو « لو » المصدرية أو نون توكيد ، أو حرف تنفيس ، وهو السين و(سوف)

وينصرف إلى الزمن الماضى : (لم) و (لما) الجازمة و (لو) الشرطية غالباً وباذ وبربما ، و « قد » فى بعض المواضع .

دلالة المضارع على الشمول والاستمرار :

والمقصود بالشمول هنا دلالة المضارع على الحال والاستقبال ، ويدل المضارع على الشمول إذا دل على حقيقة مسلمة سائدة في مجال الطبيعة لا تتبدل بتجدد الليالي وتوالي الأيام وذلك نحو : (تشرق الشمس صباحا من جهة الشرق ، وتغرب مساء في جهة الغرب) و (يستمد القمر نوره من ضوء الشمس) فمنذ كانت الشمس وإشراقها في الصباح من الشرق ، وغروبها في المساء في الغرب ومنذ كان القمر ونوره مستمد من ضوء الشمس ، وسوف يستمر ذلك كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد تكون الحقائق ثابتة بعلمها من الدين بالضرورة فاكتسبت الدوام والاستمرار نحو (الله يفعل مايشاء) و (يبدأ الصوم بعد رؤية هلال رمضان)

وقد يستمد المضارع شموله واستمراره من دلالته على العادة والسجية نحو (العربي يكرم ضيفه)

وقد يدل المضارع على الشمول والاستمرار بشيء خارج وذلك إذا صحب مايقتضي التكرار والتجدد كقول الشاعر (١) :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي عريفهم يتوسم ؟

---

١ ـ من الكامل قاله طريف بن تميم العنبري وينظر سيبويه ٤ / ٧ معاهد التنصيص ٩٩/١ ونوادر المخطوطات ٢١٩/٢ والأصمعيات ١٢٧ والمنصف ٦٦/٣

أو صحب (لا) كقول الشاعر [١]

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وكقول الآخر [٢]

يرى الحاضر الشاهد المطمئن من الأمر مالا يرى الغائب

روى ذلك عن الأخفش نصاً [٣]

وذهب الزمخشرى إلى أن المضارع المنفى بـ (لا) يختص بالزمن المستقبل فقال [٤] :

« (لا) لنفى المستقبل فى قولك لا يفعل »

والذى جر الزمخشرى إلى هذا الوهم قول سيبويه فى باب نفى الفعل [٥]:

« وإذا قال (هو يفعل) أى : هو فى حال فعل فان نفيه (مايفعل)

وإذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعا فنفيه (لا يفعل) »

فاستعمل سيبويه (ما) فى نفى الحال و (لا) فى نفى المستقبل ، وهذا لا خلاف فى جوازه .

---

١ ـ من البسيط قاله الحطيئة من قصيدة يهجو الزبرقان بن بدر

٢ ـ من البحر المتقارب

٣ ـ شرح التسهيل لإبن مالك الورقة ٤ ب مخطوطة دارالكتب المصرية ١٠ ش نحو

٤ ـ المفصل ص ٣٠٦

٥ ـ كتاب سيبويه ٣/١١٧

وليس فى عبارته مايمنع من إيقاع غير (ما) موقع (ما) ولا من إيقاع غير (لا) موقع (لا)

فاكتفى الزمخشرى بماقاله سيبويه فى باب نفى الفعل ولم يضم إليه قوله فى باب عدة مايكون عليه الكلم [١] حيث قال سيبويه :

« وتكون (لا) ضداً لـ (نعم) »

وهذا من سيبويه إشعار بعدم تقيد (لا) فى النفى بزمان دون زمان كما لايتقيد (نعم) لان (نعم) تصديق لما قبلها : ماضيا كان أو حاضراً أو مستقبلا نحو : (أقام زيد) ؟ و (أتظن عليا مسافراً) ؟ و (أتسافر غدا) ؟

فـ (نعم) بعد الثلاثة الأفعال مقتضية لثبوت القيام الماضى ، والظن الحالى والسفر المستقبل .

و (لا) بعدهن مقتضية لنفيهن فى تلك الأزمان الثلاثة .

على أن كلام سيبويه لو كان صريحا فى أن المضارع المنفى بـ (لا) لايكون إلا مستقبلا وصدقه عليه الزمخشرى وغيره من المتأخرين لم يجز الأخذ به لمنافاته للكلام العربى والشواهد القاطعة الدالة على إيقاع المضارع المنفى بـ (لا) فى مواضع تنافى الاستقبال ومن ذلك فى القرآن الكريم قوله ـ تعالى ـ :

« ومالنـــا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع

---

١ ... نفس المرجع ٣٠٦/٢

القوم الصالحين » [١]

وقوله « ولا على الذين إذا ماأتوك لتحملهم قلت : لا أجد ماأحملكم عليه » [٢]

وقوله « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا » [٣]

وقوله « ومالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم » [٤]

وقوله « مالكم لاترجون لله وقاراً » [٥]

وقوله « مالي لا أرى الهدهد » [٦]

وقوله « ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون » [٧]

ومثال ذلك في غير القرآن الكريم إجماع النحاة على صحة قول من قال: (أتظن ذلك واقعا أم لاتظنه) ؟ و (أتحب الخير أم لاتحبه) ؟ و (مالك لاتقبل) ؟ و (ماشأنك لاتوافق) ؟ و (أراك لا تبالي)

وهناك أمر يرد قول من زعم أن (لا) تخلص الفعل المضارع للاستقبال

---

١ ـ الآية رقم ٨٤ من سورة المائدة

٢ ـ من الآية رقم ٩٢ من سورة التوبة

٣ ـ من الآية رقم ٧٨ من سورة النحل

٤ ـ من الآية رقم ٨ من سورة الحديد

٥ ـ الآية رقم ١٣ من سورة نوح

٦ ـ من الآية رقم ٢٠ من سورة النمل

٧ ـ الآية رقم٢٢ من سورة يس

وهو الإجماع على صحة قول العرب (ناموا لايكون زيداً) بمعنى : الا زيداً .

فالمعلوم المسلم به أن المستثنى منشىء للاستثناء ، والإنشاء لابد فيه من مقارنة معناه للفظه .

و(لايكون) هنا استثناء فمعناه مقارن للفظه . فلو كان النفى بلا مخلصا للاستقبال لم تستعمل العرب (لايكون) فى الاستثناء لمباينته للاستقبال

دلالة الفعل المضارع على الزمان الماضى :

يدل الفعل المضارع على الزمان الماضى إذا سبق بـ (لم) العاملة أو المهملة أو (لما) ـ الجازمة ـ فان هذين الحرفين ينقلان زمن الفعل المضارع إلى المضى . ويختصان بالدخول عليه .

إلا أن مصحوب (لم) مطلق الانتفاء ، فاذا قيل (لم يكن) جاز أن يراد انتفاء غير محدود كقوله ـ تعالى ـ « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » [١] وانتفاء محدود متصل بالحال كقوله ـ تعالى ـ « ولم أكن بدعائك رب شقيا » [٢] وهذا معنى قول سيبويه [٣] : (ولما هو كائن لم ينقطع) .

وقد يراد من اقتران (لم) بالمضارع انتفاء منقطع كقوله ـ تعالى ـ « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً » [٤] .

وكقول الراجز [٥] :

وكنت إذ كنت إلهى وحدكا
لم يك شيء يا إلهى قبلكا

---

١ ـ الآيتان ٣ ، ٤ من سورة الإخلاص :

٢ ـ الآية رقم ٤ من سورة مريم .

٣ ـ كتاب سيبويه ٢/١ .

٤ ـ الآية رقم ١ من سورة الإنسان .

٥ ـ هو عبد الله بن عبد الأعلى ينظر : سيبويه ٢١٠/٢ ، وابن يعيش ١١/٢ .

ولجواز انقطاع مدخول (لم) يحسن أن يقال : (لم يكن ثم كان)
ولجواز كونه غير محدود حسن أن يقال : (لم يقض ما لا يكون)

وأما (لما) فمدلولها إنتفاء محدود متصل بزمن النطق بها ، فلذلك امتنع أن يقال (لما يكن ثم كان) و (لما يقض ما لا يكون) لأن انتفاء قضاء ما لا يكون غير محدود .

ولا يشترط كون المنفى بـ (لما) قريبا من الحال لقولهم : (عصى إبليس ربه ولما يندم) بل الغالب كونه قريبا من الحال خلافا لابن هشام [١] .

والمنفى بـ (لما) متوقع الحدوث ، وقد فطن لذلك العلامة الزمخشرى فقال في تفسير قوله ـ تعالى ـ « ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم » [٢] .

« ما فى (لما) من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد » [٣] وإنما جزم الزمخشري بايمانهم مع أن (لما) تفيد التوقع لأن التوقع فى كلام الله ـ تعالى ـ يحمل على التحقيق .

وجعل الرضى نفى (لما) المتوقع ـ غالبا ـ وقال : [٤] « وقد تستعمل في غير المتوقع » ـ أيضا ـ نحو : (ندم ولما ينفعه الندم) .

ونظر ابن هشام إلى (لما) من زاوية أخرى حيث رأى أنها انما تستخدم

---

١ ـ مغنى اللبيب ٢١٩/٢ .
٢ ـ من الآية رقم ١٤ من سورة الحجرات .
٣ ـ الكشاف ٥٧٠/٣ .
٤ ـ شرح الكافية للرضى ٢٥١/٢ .

لنفى الماضى القريب ، ولا تستخدم لنفى الماضى البعيد [١] .

ويرى ابن يعيش أن هذه الأدوات إنما عملت فى الفعل المضارع لأنها نقلته من الحاضر إلى الماضى على حد لا يكون فى الأسم ، لأن الحد الذى يكون فى الاسم انما يكون لقرينة الوقت حيث قال [٢] :

« وإنما عملت لاختصاصها بالأفعال دون الاسماء .والحرف إذا إختص عمل فيما يختص به .

وهذه الحروف قد أثرت فى الأفعال تأثيرين ، وذلك أن (إن) نقلت الفعل إلى الاستقبال والشرط .

و (لم) نقلته إلى الماضى والنفى

و (لما) كذلك إلا أن (لما) لنفى فعل معه (قد) ، و (لم) لنفى فعل ليس معه (قد)

فاذا قال القائل (قام زيد) قلت فى نفيه (لم يقم)

وإذا قال القائل قد قام زيد » قلت فى نفيه « لما يقم »

فان قيل : ولم كان عمل بعض الحروف المختصة بالأفعال الجزم وبعضها النصب ؟ فالجواب عن ذلك أن ما نقل الفعل إلى معنى لا يكون فى الاسم عمل فيه اعرابا لا يكون فى الاسم .

ولما كان الشرط والأمر والنهى لا يكون إلا فى الأفعال عملت

---

١ - مغنى اللبيب ٢١٩/٢ .

٢ - شرح المفصل ٤١/٧ .

أدواته فيها الجزم الذى لا يكون إلا فى الأفعـــال .

أما (لم) و (لما) فانهما ينقلان الفعل الحاضر إلي الزمان الماضى على حد لا يكون فى الاسم ، لأن الحد الذى يكون فى الاسم إنما يكون بقرينة الوقت نحو (زيد ضارب أمس) .

ولا يجوز أن يقال (زيد يضرب أمس) فينقل المضارع إلى المضى بقرينة كما فعل فى الاسم ، ويجوز (لم يضرب أمس) .

فلما نقل على حد لا يكون فى الاسم عملت الأداة فيه إعرابا لا يكون فى الإسم فلذلك كانت جازمة .

وقيدت (لما) بنسبة الجزم إليها لأن (لما) تأتى فى كلام العرب على ثلاثة وجوه .

الأول : أن تكون نافية جازمة وهي المرادة هنا ولا يليها من الأفعال إلا فعل مضارع اللفظ ماضى المعنى .

الثانى : أن تكون حرفا يدل علي وجوب شيء لوجوب غيره ، ولا يليها إلا فعل خالص المضى أي : ماض لفظا ومعنى كقوله ـ تعالى ـ « وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا [١] .

وهى حرف عند سيبويه فقد قال [٢] :

« هذا باب ما يختار فيه النصب وليس قبله منصوب بنى على الفعل . . .

---

١ ـ من الآية رقم ٥٩ سورة الكهف .

٢ ـ كتاب سيبويه ٩٨/١ .

وذلك أن من الحروف حروفا لا يذكر بعدها إلا الفعل ، ولا يكون الذى يليها غيره مظهرا أو مضمرا .

فمما لا يليه الفعل إلا مظهرا : (قد) و (سوف) و (لما) ونحوهن ومذهب ابي على الفارسى أن (لما) هذه ظرف بمعنى (حين) .

والآية السابقة ترجح مذهب سيبويه لأن المراد أن أهل القرى أهلكوا بسبب ظلمهم لا أنهم أهلكوا حين ظلمهم ، لأن ظلمهم متقدم على إنذارهم وإنذارهم متقدم على إهلاكهم .

ولأن (لما) هذه تقابل (لو) لأن (لو) فى الغالب تدل على امتناع لامتناع و (لما) تدل على وجوب لوجوب .

ويحقق تقابلها أنه يصح أن يقال : (لو قام زيد لقام عمرو ، لكنه لما لم يقم زيد لم يقم عمرو) .

والثالث من إستعمالات (لما) أن تكون بمعنى (الا) فى قسم كقول عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لأبى موسى الأشعرى : (عزمت عليه لما ضربت كاتبك سوطا) .

وقد تكون بمعنى (الا)بعد نفى دون قسم ومنه قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة [١] . « وان كل لما جميع لدينا محضرون [٢] » و « وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا » [٣] .

---

١ ـ ينظر إتحاف فضلاء البشر ٣٨٥ .
٢ ـ من الآية رقم ٣٢ من سورة يس .
٣ ـ من الآية رقم ٣٥ من سورة الزخرف .

أى ما كل ذلك إلا جميع ، وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا .

وأطلقت (لم) عن التقييد بالجازمة تنبيها على أنها صارفة معنى المضارع إلى المضى ولو لم يكن الفعل بعدها مجزوما كقول الشاعر [١] .

لولا فوارس من نعم وأسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

ومهما يك من شيء فإن الأثر الإعرابى الذي تحدثه كل من (لم) و (لما) ليس ذا أهمية فى هذا المجال بالنسبة لما تحدثه هاتان الأداتان فى الفعل المضارع من قلب زمنه للمضى .

ومن ثم فنحن لا ننظر إلى (لم) و (لما) من حيث أنهما أداتان تعملان فى المضارع الجزم ، وإنما ننظر إليهما من حيث أنهما أداتان تدخلان على الفعل المضارع فتنقلان زمانه إلى المضى .

وينصرف المضارع إلى الدلالة على المضى إذا سبقته (كان) التي تدل على أن الحدث الواقع بعدها قد وقع فى الزمان السابق لزمن التكلم فـ (كان سعد يكتب) يفيد أن الكتابة حدثت قبل النطق بهذه الجملة رغم أن الفعل الدال على الكتابة في صيغة المضارعة .

وهذا معنى قول سيبويه : [٢] «وأدخلت (كان) لتجعل ذلك فيما مضى»

---

١ ـ من البسيط وينظر الخصائص ٣٨٨/١ والمحتسب ٩٨/١ وشرح الكافيه الشافية ١٥٧٤/٣ وشرح عمدة الحافظ ١٢٤/١ وشرح التسهيل الورقة ٦ وهمع الهوامع ٥٦/٢ والأشموني ٦/٤ .

٢ ـ كتاب سيبويه ٤٥/١ .

كذلك ينصرف المضارع إلى الزمان الماضى ـ غالبا ـ إذا اقترن بـ (لو) الشرطية .

ومما هو جدير بالتنبيه عليه أن (لو) تستعمل فى العربية على وجهين :

الأول : موصولة وهى التى يصلح فى موضعها (أن) وأكثر ما تقع بعد (ود) أو ما فى معناها كقوله ـ تعالى ـ «ودوا لو تدهن فيدهنون » [١] وقد جرت عادة النحاة أن يذكروها مع حروف المصادر .

الثانى : أن تقع شرطية وقد ترادف (إن الشرطية كالتى فى قوله ـ تعالى « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم [٢] » وقد تقع غير مرادفة لـ (إن) وهى أكثر وقوعا من غيرها .

وعبارة سيبويه عن (لو) : « وأما (لو) فلما كان سيقع لوقوع غيره » [٣] يعنى بذلك سيبويه أن مقتضى قول من قال : « لو يحضر زيد لأكرمه سعد » .

أن الاكرام من سعد كان متوقعا لحصول حضور من زيد على تقدير حصوله .

وليس فى هذه العبارة تعرض لكون الثانى صالحا للحصول بدون حصول الأول أولا .

---

١ ـ من الآية رقم ٩ من سورة القلم .

٢ ـ من الآية رقم ٩ من سوالة النساء .

٣ ـ كتاب سيبويه ٢/٣٠٧ .

والحق فيه أنه صالح لذلك وأن الأول محكوم بعدم حصوله لأنه قد فقال (لو ترك العبد سؤال ربه لأعطاه) .

فترك السؤال محكوم عليه بعدم الحصول ، والعطاء محكوم بحصوله على كل حال .

والمعنى : أن عطاءه حاصل مع ترك السؤال فكيف مع السؤال ؟ ومنه قول عمر ـ رضى الله عنه ـ فى صهيب ـ رضى الله عنه . (لو لم يخف الله لم يعصه) .

والعبارة الجيدة فى (لو) أن يقال : هى حرف يدل على انتفاء تال يلزم لثبوته ثبوت تاليه » [١] .

فقيام (زيد) من قوله (لو قام زيد لقام عمرو) معلم بانتفائه فيما مضى وكونه مستلزما ثبوته لثبوت قيام من عمرو .

وهل لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد أو ليس له ؟ لا تعرض لذلك بل الأكثر كون الثانى والأول غير واقعين .

والأكثر إستعمال (لو) فى المضى ، وإستعمالها فى المضارع قليل ومنه قوله ـ تعالى ـ « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابه » [٢] وقول كثير بن عبد الرحمن فى عزة [٣] :

---

١ ـ شرح الكافية لابن مالك ٣/١٦٣١ .

٢ ـ من الآية رقم ٦١ من سورة النحل

٣ ـ من الكامل .

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعاً وسجوداً

و (لو) التي يخلص المضارع بعدها للدلالة على المضي هى (لو) الشرطية التي لا ترادف « إن » الشرطية .

فلو وقع بعد (لو) التى ترادف (إن) الشرطية خلص للاستقبال كما يكون بعد (إن) ومن ذلك قول الشاعر [١] :

لا يلفك الراجيك إلا مظهراً خلق الكريم ولو تكون عديما

كذلك ينصرف زمان المضارع إلي المضى إذا وقع بعد (إذ) و (ربما) و (قد) فى بعض المواضع .

فمثال إنصرافه إلي المضى بعد (إذ) قوله ـ تعالى ـ « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك » [٢] .

بمعنى : إذ قلت .

ومثال انصراف المضارع إلى المضى بعد (ربما) قول الشاعر [٣] :

لا يضيع الامين سراً ولكن ربما يحسب الخئون أمينا

وإنما كانت (ربما) صارفة معنى المضارع إلي المضي لأن (رب) قبل اقترانها بـ (ما) مستعملة فى المضى . فاستصحب لها بعد الاقتران ما كان لها بل هى بذلك أحق ، لأن (ما) للتوكيد فيتأكد بها معنى ما تتصل به ما لم

---

١ ـ الكامل وينظر شواهد المغنى القسم الثانى ص ٦٤٦ .

٢ ـ من الآية رقم ٣٧ من سورة الأحزاب .

٣ ـ من الخفيف وينظر فى شرح التسهيل لابن مالك الورقة ٥ ب .

تقلبه من معنى إلى معنى كما فعل بـ (إذ) حين قيل فيها (إذ ما) حيث قلب المعنى ففارقتها الدلالة على المضى ، وحدث فيها معنى المجازاة .

أما (ما) المتصلة بـ (رب) فغير قالبة معناها بل مؤكدة له ، فاستصحب لـ (رب) مع وجودها ما كان لها من المضى .

وإذا دخلت (قد) على المضارع فهى كـ (ربما) فى إفادة التقليل وصرف مدلول المضارع إلى معنى المضى .

وهـذا ظاهر كلام سيبويه لأنه قال فى ـ باب عدة ما يكون عليه الكلم [١] :

« وأما (قد) فجواب لقوله : (لما يفعل) فتقول (قد فعل) »

ثم قال :

وتكون بمنزله (ربما) قال الهذلي [٢] :

قد أترك القرن مصفراً أنامله كان أثوابه مجت بفرصاد

كأنه قال : ربما »

فاطلاق سيبويه القول بأن (قد) بمعنى (ربما) تصريح بالتسوية بينهما في التقليل وصرف الفعل إلى المضي .

---

١ ـ كتاب سيبويه ٤/٢٢٣ وما بعدها .

٢ ـ من البسيط قاله عبيد بن الأبرص وهو فى ديوانه ص ٧١ .

والقرن : النظير . مصفراً أنامله : ميتا مجت : صب عليها الفرصاد : التوت . شبه الدم بحمرة عصارة التوت .

فان خلت (قد) من معنى التقليل فأحيانا تخلو من الصرف إلي معنى المضى كقوله تعالي ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ﴾ (١) .

وأحيانا تصرف إلي معنى المضى مع خلوها من معنى التقليل كقوله — تعالي — ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء ﴾ (٢) .

---

١ — من الآية رقم ٣٣ من سورة الأنعام .

٢ — من الآية رقم ١٤٤ من سورة البقرة .

دلالة الفعل المضارع على الحال :

لما كان للفعل المضارع صيغة فى الوضع تخصه مثل (فعل) ، وللمستقبل صيغة تخصه كـ (إفعل) ولم يكن للحال صيغة تخصه بل اشترك مع المستقبل فى المضارع جعلت دلالة المضارع على الحال راجحة عند تجريده من القرائن ليكون جابرا لما فاته من الاختصاص بصيغة .

وإذا كان التجرد من القرائن المرجحة لزمن ما مرجحا للحال فوجدان قرينة من قرائن الحال تؤكد الترجيح فيصير الحال بها متعينا .

ومن القرائن التى تخلص المضارع للدلالة على الحال اقترانه بـ (ليس) فانه فعل يدخل على الجملة الابتدائية فينفيها فى الحال .

فنفى (أنت تقرأ وتفهم) : (لست تقرأ وتفهم)

ففى الجملة الأولى إيجاب قراءة وفهم فى الحال .

وفى الجملة الثانية نفى القراءة والفهم فى هذا الزمان .

ومن نفى المضارع بـ (ليس) فى الحال قول الشاعر يذم راحلته [١] :

فلست ـ وبيت الله ـ أرضى بمثلها ∴ ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

و (ما) بمنزلة (ليس) فى نفى الحال فاذا قيل (هو يفعـــل) وأريد الحال فجوابه ونفيه (ما يفعل) [٢] قال تعالى : « وما أدرى ما يفعل بى

---

١ ـ من الطويل وينظر شرح التسهيل جـ ١ الورقة ٤ .

٢ ـ سيبويه فى الكتاب ١١٧/٣ .

ولا بكم » [١] .

وقد يفيد اقتران المضارع بـ (ما) النافية ـ بجانب نفى الحال ـ نفى الانبغاء والصحة وذلك نحو قوله ـ تعالى ـ « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أ أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لى بحق [٢] »

قال المفسرون : ما يكون لى : ما ينبغى لى أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله [٣] .

وقال الزمخشرى [٤] فى تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿ لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ﴾ [٥] .

فان قلت : بما معنى (يكون) والكلام بدونه ملتئم لو قيل : ما لنا أن نتكلم بهذا قلت : معناه معنى (ينبغى ويصح) أي : ما ينبغى لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا .

وجاء فى تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ﴾ [٦] معناه : فما يصح لك [٧] .

---

١ ـ من الآية رقم ٩ من سورة الأحقاف .

٢ ـ من الآية رقم ١١٦ من سورة المائدة .

٣ ـ الزمخشرى فى الكشاف ٦٥٥/١ .

٤ ـ الكشاف ٥٥/٣ .

٥ ـ من الآية رقم ١٢ من سورة النور .

٦ ـ من الاية رقم ١٣ من سورة الأعراف .

٧ ـ الكشاف ٦٩/٢ .

و (إن) النافية بمنزلة (ما) فى نفى الحال . وتدخل على الجملتين : الاسمية والفعلية ، مثالها مع المضارع ﴿ إن يقوم سعد ﴾ أى ما يقوم ، قال الله ـ تعالى ـ ﴿ إن يتبعون إلا الظن ﴾ (١) وقال : ﴿ إن يقولون إلا كذبا ﴾ (٢) ومنه ﴿ وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون ﴾ (٣) .

وكون النفى بـ (ليس) و (ما) و (إن) قرينة تخلص الفعل المضارع للدلالة على الحال هو رأى جمهور النحاة (٤) .

قال ابن مالك (٥) « وليس ذلك بلازم . بل الأكثر كون المنفى بها حالا ، ولا يمتنع كونه مستقبلا » .

ومثال الفعل المضارع المقترن بـ (ليس) وهو دال على الاستقبال قول حسان فى وصف الزبير ـ رضى الله عنهما ـ :

وما مثله فيهم ، ولا كان قبله وليس يكون الدهر مادام يذبل (٦)

أى : ما فى هذا العصر مثله ، ولا كان فيما مضى ، ولا يكون فيما يستقبل .

---

١ — من الآية رقم ٢٨ من سورة النجم .

٢ — من الآية رقم ٥ من سورة الكهف .

٣ — من الآية رقم ١٠٩ من سورة الأنبياء .

٤ — المفصل ص ٣٠٧ .

٥ — شرح تسهيل الفوائد جـ ١ الورقة ٥ مخطوطة دار الكتب المصرية

٦ — من الطويل أنشده ابن مالك فى شرح التسهيل .

ومثله قول الآخر [١] :

والمرء ساع لأمر ليس يدركه والعيش شح واشفاق وتأميل

ومثال الفعل المضارع المقترن بـ (ما) النافية و (إن) أختها وهو دال على الاستقبال قوله تعالى : ﴿ قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع إلا ما يوحى إلي [٢] ﴾ .

ومنه قول أبي ذؤيب [٣] :

أودى بنى وأعقبونى حسـرة عند الرقاد وعبرة ما تقلع

أما لام الابتداء فمخلصة المضارع للحال عند أكثر النحويين نحو : (إنى لأحبك) .

و ليس كما ظنوا ، بل جائز أن يراد الاستقبال بالمضارع المقرون بها ومنه قوله ـ تعالى ـ ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة ﴾ [٤] وقوله ـ جل شأنه ـ ﴿ إنى ليحزننى أن تذهبوا به [٥] ﴾ .

فالحكم بين العباد حددته الآية بيوم القيامة ، وهو يوم لم يأت بعد

---

١ — من البسيط من شواهد ابن مالك فى شرح التسهيل .

٢ — من الآية رقم ١٥ من سورة يونس .

٣ — البيت من الكامل وينظر خزانة الأدب ٣/٤٩٨ .

٤ — من الآية رقم ١٢٤ من سورة النحل .

٥ — من الآية رقم ١٣ من سورة يوسف .

و(يحزن) مقرون بلام الابتداء وهو مستقبل لأن فاعله الذهاب وهوعند نطق يعقوب عليه السلام به ، يحزن غير موجود فلو أريد به (يحزن) الحال لزم سبق معنى الفعل لمعنى الفاعل فى الوجود وهو محال .

وهناك أسماء تقترن بالفعل المضارع الصالح للحال والاستقبال فتخلصه للحال ، ومنها (الساعة) و (الحين) وما فى معناهما من ظروف الزمان .

ومنها (الآن) وهو ظرف زمان معناه الزمان الحاضر ، وهو الذى يقع فيه كلام المتكلم الفاصل بين ما مضى من الوقت وما هو آت وهو مبنى على الفتح وفى علة بنائه إشكال [١] لا يعنينا هنا الخوض فيه ، ويكفينا ماقاله ابن يعيش بعد أن عرض الآراء المختلفة وعللها :

﴿ والذي أراه أن تعريفه بما فيه من اللام الظاهرة .. وأما علة بنائه فلابهامه ووقوعه على كل حاضر من الأزمنة ، فاذا انقضى الزمان لم يصلح له ولزمه حرف التعريف فجرى مجرى الذى والتي فاعرفه [٢] ﴾ .

والذى لابد من إعتباره من أمر (الآن) وما فى معناه أن القائل إذا قال : (الكاتب يكتب) كان الفعل محتملا للحال والاستقبال .

فاذا ما أتبع ذلك بكلمة (الآن) تعين الفعل للدلالة على الحال .

ويذهب بعض العلماء إلى جواز بقاء المقرون بـ (الآن) مستقبل الزمان لأن (الآن) قد تصحب فعل الأمر مع أن استقباله لازم كقوله ـ

---

١ — شرح المفصل ٤/١٠٢ .

٢ — المرجع السابق ٤/١٠٣ .

تعالى ... ﴿ فالآن باشروهن ﴾ [١] .

فعبر بـ (الآن) عن المدة التى رفع فيها الحرج عن المباشرين نساءهم فى ليالى الصوم ، وعن مدة بلوغ ذلك المخاطبين ، وعن المدة التى تقع فيها المباشرة لأن (الآن) ليس عبارة عن المدة المقارنة لنطق الناطق فحسب ، بل (الآن) عبارة عن مدة ما حضر كونه ، فلو أن الكائن لا يتم كونه إلا فى شهر فصاعدا جاز أن يقال فيه : (الآن هو كائن) ومنه قوله — تعالى — ﴿ فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ [٤] .

---

١ — من الآية رقم ١٨٧ من سورة البقرة .

٢ — من الآية رقم ٩ من سورة الجن .

دلالة الفعل المضارع على الاستقبال :

وإذا كانت هناك قرائن تعين الفعل المضارع للدلالة على الزمان الحاضر أو ترجحه للدلالة على هذا الزمن فان هناك ـ أيضا ـ قرائن تجعله خالص الدلالة على الزمان المستقبل أو راجحها ومن تلك القرائن :

دلالة الفعل المضارع على وعد أو وعيد أو وقوعه فى سياق تهديد

فمن الأول قوله ـ تعالى ـ « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات » (١)

وقوله ـ جـــل شأنه ـ « ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون » (٢)

وقوله ـ « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيهـا تحية وسلاما » (٣)

ومن الثانى قوله ـ تعالى ـ « يعذب من يشاء ويرحم من يشاء » (٤)

وقوله ـ جل شأنه ـ « كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » (٥)

---

١ ـ من الآية رقم ٢٢ من سورة المجادلة

٢ ـ من الآية رقم ٣١ من سورة فصلت

٣ ـ من الآية رقم ٣٥ من سورة الفرقان

٤ ـ من الآية رقم ٢١ من سورة العنكبوت

٥ ـ من الآية رقم ١٦٧ من سورة البقرة

ومن الثالث قوله ـ تعالى ـ « اعملوا ماشئتم إنه بما تعملون بصير »[١]

وقوله ـ جل شأنه ـ : « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير »[٢]

كذلك يدل المضارع على الاستقبال إذا ارتبط بظرف مستقبل نحو قول القائل: «أزورك إذا تزورنى »

فـ (أزورك) عامل فى (إذا) وهو ظرف مستقبل مضاف إلى (تزورنى) فتخلص الفعلان به للاستقبال.

كما يتخلص الفعل المضارع للاستقبال إذا انتفى طلبا كقوله ـ تعالى ـ « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »[٣]

قال الزمخشرى :[٤]

فان قلت : فما معنى الإخبار عنهن بالتربص ؟

قلت : هو خبر فى معنى الأمر ، وإخراج الأمر فى صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه .

---

١ ـ من الآية رقم ٤٠ من سورة فصلت

٢ ـ من الآية رقم ١٥ من سورة الشورى

٣ ـ من الآية رقم ٢٢٨ من سورة البقرة

٤ ـ الكشاف ١/ ٣٦٥

ومن هذا القبيل قوله ـ تعالى ـ « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » (١)

ومما يخلص المضارع للدلالة على الزمان المستقبل وقوعه بعد أداة ترج نحو قوله ـ تعالى ـ « لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون » (٢)

وقوله ـ جل شأنه ـ « لعلى أبلغ الأسباب (٣)

ومثله قول الشاعر (٤)

فقلت : أعيرونى القدوم لعلي أخطربها قبراً لأبيض ماجد

ويخلص المضارع للزمان المستقبل اقترانه بالسين كقوله ـ تعالى ـ « سيقول السفهاء من الناس ما لاهم عن قبلهم التى كانوا عليها » (٥)

وقوله ـ جل شأنه ـ « سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد » (٦)

---

١ ـ من الآية رقم ٢٣٣ من سورة البقرة

٢ ـ من الآية رقم ٤٦ من سورة يوسف

٣ ـ من الآية رقم ٣٦ من سورة غافر

٤ ـ من البحر الطويل ينظر المقاصد النحوية ١/٣٥٠ ، والدرر اللوامع للشنقيطى ١/٤٣

٥ ـ من الآية رقم ٤٢ من سورة البقرة

٦ ـ من الآية رقم ١٢٤ من سورة الأنعام

وقوله : « فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » (١)

كما يخلصه للزمان المستقبل اقترانه بـ (سوف) وذلك كقوله ـ تعالى ـ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون (٢)

وقوله ـ جل شأنه ـ « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » (٣)

ويتخلص المضارع للدلالة على الاستقبال بالمجازاة ، ولابد لأداة المجازاة من فعل يليها يسمى شرطا ، وفعل بعده ـ أو مايقوم مقامه يسمى جوابا وجزاء

وإذا كانا فعلين جاز أن يكونا مضارعين ، وأن يكونا ماضيين ، وأن يكون الشرط ماضيا ، والجواب مضارعا ، وأن يكون الشرط مضارعا والجواب ماضيا .

فالأول نحو قوله ـ تعالى ـ « وإن تبدو مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » (٤)

والثانى نحو قوله ـ جل شأنه ـ « وإن عدتم عدنا » (٥)

---

١ ـ من الآية رقم ٩٢ من سورة الأنفال

٢ ـ من الآية رقم ٣،٤ من سورة التكاثر

٣ ـ من الآية رقم ٥٤ من سورة المائدة

٤ ـ من الآية رقم ٢٨٤ من سورة البقرة

٥ ـ من الآية رقم ٨ من سورة الإسراء

والثالث نحو قوله ـ عز وجل ـ ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم ﴾ (١)

والرابع نحو قول قعنب بن أم صاحب الغطفانى (٢)

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا منى ومايسمعوا من صالح دفنوا

وأكثر النحويين يخصون الوجه الرابع بالضرورة

قال ابن مالك (٣) ولا أرى ذلك ؛ لأن النبي ﷺ قال : (٤)

« من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه »

وابن مالك فى ذلك متابع لبعض المتقدمين من النحويين كالفراء (٥) الذى أجاز أن يكون الشرط مضارعا والجواب ماضيا ، وجعل من ذلك قوله ـ تعالى ـ ﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (٦) لأن (ظلت) بلفظ الماضى ، وقد عطف على (ننزل) وحق المعطوف أن يصلح لحلوله محل المعطوف عليه .

---

١ ـ من الآية رقم ١٥ من سورة هود

٢ ـ من البسيط وينظر فى ديوان الحماسة ٢/٢٦٧ ، أمالى المرتضى ١/٣٢ ، أمالى البحترى ٣٩٢ ، سمط اللآلى ٣٦٣ شرح العيون ٣/٨٤ الاقتضاب ٣٩٢ .

٣ ـ شرح الكافية الشافية ٣/١٥٨٦

٤ ـ أخرجه البخارى باب الإيمان ٢٥ ، الصوم ١ ، التراويح ١

٥ ـ ينظر معانى القرآن ٢/٢٧٩

٦ ـ الآية ٤ من سورة الشعراء

وأمثلة أدوات المجازاة قوله ـ تعالى ـ ﴿ إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم ﴾ (١)

وقوله ـ جل شأنه ـ ﴿ من يعمل سوءاً يجز به ﴾ (٢)

وقوله ـ عز وجل ـ ﴿ وماتفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ (٣)

وقوله ﴿ مهما تأتنا من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾ (٤)

وقوله ـ ﴿ أيا ماتدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ (٥)

وقوله ـ ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾ (٦)

وقول طرفة بن العبد : (٧)

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد

وقول العباس بن مرداس : (٨)

إذ ما أتيت على الرسول فقل له حقا عليك إذا اطمأن المجلس

---

١ ـ من الآية رقم ٥٤ من سورة الإسراء

٢ ـ من الآية رقم ٢٣ من سورة النساء

٣ ـ من الآية رقم ١٩٧ من سورة البقرة

٤ ـ من الآية رقم ١٣٢ من سورة الأعراف

٥ ـ من الآية رقم ١١٠ من سورة الإسراء

٦ ـ من الآية رقم ٧٨ من سورة النساء

٧ ـ من الطويل ينظر ديوان طرفة بن العبد ص ٢٩ ـ التلعة : ماارتفع من سيل الماء الرفد : الإعانة ، الاسترفاد . الاستعانة .

٨ ـ من الكامل وينظر ديوان العباس بن مرداس ص ٧٢

ياخير من ركب المطى ومن مشى فوق التراب إذا تعد الأنفس
إنا وفينا بالذى عاهدتنا والخيل تقدم بالكماة وتضرس

وقول الآخر (١)

جاز لك الله ما أعطاك من حسن وحيثما يك أمر صالح تكن

وقول لبيد بن ربيعة العامرى (٢) :

فأصبحت أنى تأتها تلتبس بها كلا مركبيها تحت رجلك شاجر

ويتخلص المضارع للاستقبال ـ أيضا ـ إذا اقترن بـ « لو » المصدرية كقوله ـ تعالى ـ ﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ (٣) .

ولم يذكر «لو» في الحروف المصدرية إلا الفراء ، وأبو على فى التذكرة وذكرها أبو البقاء العكبري فقال فى إعراب قوله تعالى « يود أحدهم لو يعمر » « لو » هنا بمعنى (أن) الناصبه للفعل ، ولكن لاتنصب ، وليست التي يمتنع بها الشيء . لامتناع غيره ، ويدلك على ذلك شيئان .

أحدهما : أن هذه يلزمها المستقبل ، والأخرى معناها في الماضي .

الثاني : أن « يود » يتعدى إلى مفعول واحد ، وليس مما يعلق عن العمل (٤)

---

١ ـ من البسيط . قال ابن فارس : جاز العقد وغيره : مضى على الصحة.
٢ ـ من الطويل ديوان لبيد ص ٢٢٠ شجر بين رجليه : فرق بينهما إذا ركب
٣ ـ من الآية ٩٦ من سورة البقرة .
٤ ـ إملاء ما من به الرحمن ص ٢٢٧ .

وأجاز أبو علي أن ينصب الفعل المعطوف على صلتها ، وجعل من ذلك قراءة بعض القراء ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنوا ﴾ (١)

قال أبو علي : كأنه قال « ودوا أن تدهن فيدهنوا (٢) » فحمل على المعنى كما حمل « أولم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض بقادر » (٣) فى زيادة الباء على « أوليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر (٤) » لما كان معناهما واحداً .

وأكثر وقوع « لو » هذه بعد « ود » أو « يود » أو ما فى معناهما ، ومن ورودها مصدريه دون فعل تمن قول الشاعر (٥) :

لقد طوفت الآفاق حتى ... بليت وقد أنى لى لو أبيد

ومثله قول قتيلة بنت النضر بن الحارث تخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم (٦) :

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

---

١ ـ الآية رقم ٩ من سورة القلم .

٢ ـ ينظر البحر المحيط ٨/ ٣٠٩

٣ ـ من الآيه ٩٩ من سورة الإسراء

٤ ـ من الآية رقم ٨١ من سورة يس

٥ ـ من الوافر قاله المسجاح بن سباع الضبي كما فى شرح التسهيل ١/ ٣٨

٦ من الكامل من جملة أبيات قالتها قتيلة بنت النضر ، وكان الرسول ـ عليه السلام ـ قتل النضر يوم بدر وعاتبته بهذه الأبيات وهى بتمامها فى الدرر اللوامع للشنقيطى ١/ ٥٤

وعلامة « لو » المصدرية أن يحسن فى موضعها (أن) الناصبة .

بخلاف (لو) الدالة على امتناع لامتناع فان تلك تؤثر ضد ماتؤثر هذه .

ويتلخص المضارع للاستقبال بنون التوكيد كقوله - تعالى ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ (١)

وقوله جل شأنه ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ (٢) .

كما يتخلص المضارع للدلالة على الزمان المستقبل إذا سبقه ناصب من نواصبه .

وليست مصاحبة المضارع للناصب مقصورة على ظهوره فى اللفظ بل تتناول المصاحبة ظهور الناصب كقوله تعالى ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾(٣)

وقوله جل شأنه ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ (٤)

وقوله ﴿ إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ (٥)

وقوله ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ (٦)

---

١ – من الآية ١٥٥ من سورة البقرة

٢ – من الآية رقم ٨٨ من سورة ص

٣ – من الآية رقم ١٨٤ من سورة البقرة

٤ ، ٥ – من الآية ٢٣٧ من سورة البقرة

٦ – من الآية رقم ٢٨ من سورة النساء

كما تتناول المصاحبة تقدير الناصب نحو قوله تعالى ﴿ ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ، ويتوب عليكم ﴾

وقوله : ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ (١)

وقوله : ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ (٢)

ومن هذا يتضح أن المضارع يتخلص للاستقبال بمصاحبة ناصب مقدر كتخلصه بمصاحبة ناصب ظاهر ، ذلك أن المضارع بعد أدوات النصب متعين فيه الاستقبال من قبل أن المستقبل شرط لإعمال أداة النصب فيه .

ومن ثم فالمضارع يجب رفعه بعد « حتى » إن كان حاضراً وقت التكلم.

بل أن الشيخ الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل يمعن فى ذلك إمعانا حين يقول :

« إن فرض المستقبل حاضراً وجب رفعه . وكذا إن فرض الحاضر مستقبلا وجب نصبه » وهو بذلك يجري الفرض مجرى الواقع .

وسنقتصر الحديث فى مجال أدوات النصب على حرف واحد منها يبين الاستقبال الذى هو أثر من آثارها فى المضارع ، هذا الحرف هـو (لن) ذلك الحرف الذى يدخل على الفعل المضارع فيؤثر فى معناه نفياً وتأكيداً وتأبيداً .

---

١ ـ من الآية رقم ٨٨ من سورة يونس

٢ ـ من الآية رقم ٤٠ من سورة العنكبوت

وقد فطن النحويون من القدم لآثار الحرف « لن » وتأثيره فى المضارع على الرغم من إهمالهم فى الغالب لزمن الفعل ، وإبتعادهم عن دراسته دراسة مستقلة .

وفى كتاب سيبويه :

« لن أضرب نفى لقوله سأضرب [١] ولن يفعل نفى لقوله (سيفعل)[٢]

« وأما الخليل فزعم أنها « لا أن » ولكنهم حذفوا لكثرته فى كلامهم كما قالو « ويلمه » يريدون وى لأمه . وكما قالوا (يومئذ) وجعلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا (هلا) بمنزلة حرف واحد فانما هى «هل» و «لا» .

وأما غيره فزعم أنه ليس فى « لن » زيادة ، وليست من كلمتين ولكنها بمنزلة شىء واحد على حرفين ليست فيه زيادة ، وأنها فى حروف النصب بمنزلة (لم) فى حروف الجزم . فى أنة ليس واحد من الحرفين زائداً »[٣]

ولقد أصبحت كتابة سيبويه عن « لن » هى الأساس الذى يدور حوله حديث النحويين من بعده .

فمنهم من نقل العبارة بالنص كابن هشام الذى قال فى أوضح المسالك « لن لنفى سيفعل »[٤]

---

١ ـ كتاب سيبويه ١ / ١٣٥/١٣٦

٢ ـ المرجع السابق ٤/ ٢٢٠

٣ ـ المرجع السابق ٣/٥

٤ ـ التصريح على التوضيح ٢ / ٢١٩

ومنهم من تصرف فى العبارة كالأشمونى الذى قال في شرح الألفية :

« إن لنفى ما أثبت بحرف التنفيس [١] والمقصود بقوله « بحرف التنفيس » هنا ماقصده سيبويه بقوله « سيفعل »

ومنهم من تحدث بالمعنى كابن مالك الذى قال فى الكافية الشافية :

والنصب أوجب مطلقا بـ (كى) و (لن)
وبها استقبالا اخصص و بـ (أن)

وفى شرح هذا البيت قال [٢] .

« ثم بينت أن (كى) و (لن) ينصب بها المضارع بلا شرط وأنها و « أن » نهن يتخلص الفعل المنصوب إلى الاستقبال »

ولم تظهر شخصية نحوى من سقط النحاة الذين تحدثوا فى دلالة « لن » كما ظهرت شخصية الزمخشرى الذى يرى أن (لن) تفيد لتأكيد نفى المستقبل ، وتقتضى تأبيد النفى .

ففى المفصل قال الزمخشرى : [٣] « لن بتأكيد ماتعطيه (لا) من نفى المستقبل » .

وأوضح منه قوله في الكشاف [٤]

---

١ ـ منهج المسالك إلى ألفية ابن مالك للأشمونى ٢٧٨/٣

٢ ـ شرح الكافية الشافيه ١٥٣١/٣

٣ ـ المفصل للزمخشرى ٣٠٧

٤ ـ الكشاف ١١٣/٢

فان قلت : مامعنى (لن) ؟

قلت : تأكيد النفى الذى تعطيه (لا) وذلك أن (لا) تنفى المستقبل.

تقول : (لا أفعل غداً) فاذا أكدت نفيها قلت : (لن أفعل غداً)

وقوله في موضع آخر [١] يفسر قوله تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا » [٢].

« لن » أخت (لا) فى نفى المستقبل إلا أن (لن) تنفيه نفياً مؤكداً وتأكيده هنا للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل منـاف لأحوالهم كأنه قال : محال أن يخلقوا .

فان قلت : ما محل « ولو اجتمعوا له » قلت النصب على الحال كأنه قال : مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه »

وقد وافق الزمخشرى على مذهبه تأكيد نفى المضارع بـ (لن) كثيرون حتى قال ابن الخباز « إن منعه مكابرة » [٣].

ووافقه على مذهبه تأبيد نفى المضارع بـ (لن) كثيرون ـ أيضاـ منهم ابن يعيش شارح المفصل الذى قال : [٤]

---

١ ـ المرجع السابق ١٢/٣

٢ ـ من الآية رقم ٧٣ من سورة الحج

٣ ـ همع الهوامع ٤/٢

٤ ـ شرح المفصل ١١/٨ وما بعدها

« (لن) تنفى فعلا مستقبلا قد دخل عليه السين و (سوف) وتقع جوابا لقول القائل : (سيقوم زيد) و (سوف يقوم زيد)

والسين وسوف تفيد أن التنفيس فى الزمان فلذلك يقع نفيه على التأبيد وطول المدة .

وعارضه فى إفادة (لن) التأبيد قوم منهم ابن مالك الذى قال فى شرح الكافية الشافية [١]

« ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأبيد النفى بـ (لن) وهو الزمخشرى فى أنموذجه .

وحامله على ذلك اعتقاده أن الله ـ تعالى ـ لا يرى ، وهو اعتقاد باطل بصحة ذلك عن رسول الله ﷺ أعنى ثبوت الرؤية ـ جعلنا الله من أهلها وأعاذنا من عدم الإيمان بها .

وقال ابن المنير الاسكندرى [٢] يتعقب الزمخشرى :

(لن) كما قال تشارك (لا) فى النفى وتمتاز بمزيد تأكيده .

وأما استنباط الزمخشرى من ذلك منافاة الرؤية لحال البارى عز وجل ثم إطلاقه المحال على الله ـ تعالى ـ مما يستحرز عنه .

واستشهاده على أن (لن) تشعر باستحالة المنفى بها عقلا مردود بكثير

---

١ ـ جـ ٣ ص ١٥٣١

٢ ـ الكشاف ٢/١١٤

من الآى كقوله ـ تعالى « قل لن تخرجوا معى أبداً » [١] فذلك لايحيل خروجهم عقلا .

« ولن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » [٢] و « لن تتبعونا » [٣] فهذه كلها جائزات عقلا لولا أن الخبر منع من وقوعها فالرؤية كذلك » .

ومذهب الزمخشرى فى (لن) من حيث إفادتها التأبيد من القوة بمكان ومن أقوى أدلته فى هذا الموضع قوله تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » [٤]

وقوله ـ جل شأنه ـ « يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم، قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم » [٥]

وإذا أمكن للنحويين أن يردوا الآية الأولى بقولهم : إن التأبيد فى هـذه الآية لأمر خارجى لامن مقتضيات (لن) فأين الأمر الخارجى فى الآية الثانية ؟

كما اعترض على مذهب الزمخشرى إفادة (لن) التأبيد بلزوم التناقض بذكر (اليوم) فى قوله ـ تعالى ـ « فلن أكلم اليوم إنسيا » [٦]

---

١ ـ من الآية رقم ٨٣ من سورة التوبة

٢ ـ من الآية رقم ٣٦ من سورة هود

٣ ـ من الآية رقم ١٥ من سورة الفتح

٤ ـ من الآية ٧٣ من سورة الحج

٥ ـ من الآية ٩٤ من سورة التوبة

٦ ـ من الآيه ٢٦ من سورة مريم

والتكرار بذكر (أبـــدا) في قوله ـ تعالى « ولن يتمنوه بما قدمت أيديهم »[١] .

وهذا الاعتراض لايلزم الزمخشرى ولايهدم رأيه لأن الزمخشري لم يزعم أن (لن) تفيد التأبيد فى كل حال ، وإنما الظاهر من رأيه أنه يرى أن (لن) تفيد التأبيد عند إطلاق منفيها وخلوه من المقيدات الزمنية ، فان قيد منفيها بزمن محدد فانها تفيد تأكيد النفي خلال هذا الزمن المقيـد كما فى الآية الأولى ، لأن المسلم به أن النفى على حسب الإثبات[٢] .

أما لزوم التكرار في قوله تعالى « ولن يتمنوه أبدا » فمردوده على قائله لأنه ليس تكرارا باللفظ ، ولا بالمرادف ، لأن (لن) لا ترادف (أبدا) ذلك أنه من المعروف أن الاسم لايرادف الحرف .

وإنما هو تصريح ودلالة بالمطابق على مافهم بالتضمن وليس من التكرار فى شيء بل من توكيد معنى تضمنى لكلمة سابقة بلفظ دل على هذا المعنى مطابقة .

ولكلمة (أبدا) في الآية فائدة قيمة وهى رفع مايتوهم من أن (لن) لمجرد النفى بناء على استبعاد نفى تمنى الموت منهم على جهة التأبيد[٣]

والنحويون يثيرون مسألة أخرى تتعلق بمعنى الفعـــل المضارع بعد

---

١ ـ من الآية ٩٥ من سورة البقرة

٢ ـ ابن يعيش في شرح المفصل ١١٢/٨

٣ ـ حاشية يس على القطر ١٠٩/١

(لن) من حيث الخبر والإنشاء .

فقد ذهب الجمهور إلى أن الفعل بعد (لن) لا يخرج عن كونه خبرا كحاله بعد سائر الحروف النافية غير (لا) .

ولكن جماعة منهم ابن السراج وابن عصفور ذهبت إلى أن الفعل قد يخرج بعد (لن) إلى الدعاء واستدل هؤلاء على ما ذهبوا إليه بقوله ـ تعالى ـ ﴿ قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴾ [١] .

ومما استدل به هؤلاء ـ أيضا ـ قول الشاعر [٢] :

لن تزالوا كذلك ثم لا زلت ... لكم خالداً خلود الجبال

واختار السيوطي في همع الهوامع هذا الرأى وصوبه فقال : إن عطف الدعاء عليه قرينة ظاهرة في أن المعطوف عليه دعاء » [٣] .

ولست أميل إلى ما ذهب إليه السيوطي ذلك أن الآية الكريمة يجوز حملها على النفي المحض ، فقوله — تعالى — ﴿ بما أنعمت على ﴾ يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف تقديره : أقسم بانعامك على بالمغفرة لأتوبن ولن أكون ظهيراً للمجرمين .

---

١ ـ من الآية رقم ١٧ من سورة القصص .

٢ ـ البيت من المديد من قصيدة للأعشى .

٣ ـ همع الهوامع ٢ ٤ .

ويجوز أن يكون استعطافا كأنه قال : رب اعصمنى بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون إن عصمتنى ظهيراً للمجرمين .

أما البيت فيحتمل أن تكون جملة ﴿ لن تزالوا كذلكم ﴾ خبرا لادعاء ، ولا يحول دون ذلك كون المعطوف بثم دعائيا لجواز عطف الإنشاء على الإخبار.

دلالة الفعل المضارع على الطلب:

بجانب دلالة الفعل المضارع على المعانى والأزمنة التي أشير إليها آنفا فان له دلالة لاتقل أهمية عن تلك الدلالات ألا هى دلالته على الطلب .

والحق الذى لاينكره أحد أن الفعل المضارع يستطيع الدلالة على الطلب أيسر وأوسع مما تدل عليه الصيغة الموضوعة في الأصل للطلب وهى صيغة الأمر .

وهذا الزعم لايحتاج إلى دليل والاستعمال العربى خير شاهد على ذلك .

فاذا ماأردنا أن نأمر أحدا بالقيام فسيان أن يقال له : قم أو لتقم وكلا الأسلوبين صحيح وعربى فصيح يؤدى الغرض المسوق من أجله الكلام .

وإذا ما أردنا عكس ذلك وهو طلب ترك القيام فلا تكاد توجد صيغة تلبى هذا الغرض وتعبر عن المعنى المقصود إلا الفعل المضارع المقرون بـ(لا) الناهية ، لأن صيغة الأمر تعجز عن أداء هذا المعنى .

وهناك صيغة أخرى من صيغ الطلب يعجز عن أدائها الأمر ، ويعبر عنها المضارع وهى الصيغة التى يطلب فيها المتكلم من نفسه .

فالمعهود أن المتكلم إذا قال (قم) فانما يوجه الحديث إلى المخاطب ويعنيه به . أى يوجه الحديث إلى غيره .

بخلاف قوله (لأقم) لإنه إنما يعنى بذا الطلب نفسه لاغيره .

وأمر المخاطب نفسه ونهيها أى : توجيه المتكلم الطلب إلى نفسه أسلوبان معهودان فى اللغة العربية ، وإن كان يحلو لبعض النحويين وصفها

بالقلة قال ابن مالك فى شرح الكافية الشافية .[١]

« وإلى دخول لام الأمر و (لا) فى النهى على فعل المتكلم بقلة أشرت بقولى :

وقل ماتدخل ذى اللام و (لا) (أفعل) أو (نفعل) واللام اعتلى »

ونعت الأسلوب بالقلة لايسمه بالانحطاط ، بل ولايحول بينه والاستعمال ومهما يك من شيء فان هذا يجرنا إلى حديث موجز عن لام الطلب و (لا) أختها يكشف عن استعمالهما فى العربية .

وذكر الطلب بعد (لا) واللام الجازمتين للفعل المضارع يحصل فائدتين لا يحصلان بدونه .

إحداهما : تمييز لا) المرادة من غير المرادة وهى النافية نحو قوله ـ تعالى « لا أعبد ماتعبدون »[٢] والزائدة نحو قوله ـ جل شأنه ـ « مامنعك ألا تسجد »[٣] وتمييز اللام المرادة من غير المرادة وهى التي ينتصب الفعل بعدها نحو قوله ـ تعالى « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم[٤] »

الثانية : أن الطلب يعم به (لا) فى النهى نحو قوله ـ تعالى ـ لاتحزن »[٥]

---

١ ـ شرح الكافية الشافية ٣/١٥٦٨ .

٢ ـ من الآية رقم ٢ من سورة الكافرون

٣ ـ من الآية رقم ١٢ من سورة الأعراف

٤ ـ من الآية رقم ٣٣ من سورة الأنفال

٥ ـ من الآية رقم ٤٠ من سورة التوبة

(ولا) فى الدعاء نحو قوله ـ تعالى ـ «لا تؤاخذنا »[١] ويعم به لام الأمر نحو قوله ـ تعالى ـ «لينفق ذوسعة من سعته »[٢] ولام الدعاء نحو قوله جل شأنه ـ « ليقض علينا ربك »[٣]

وللام الطلب الأصالة فى السكون من وجهين :

أحدهما : أنه الأصل ، إذ الحركه زيادة والأصل عدمها .

ثانيهما : المشاكلة بين اللفظ والعمل .

لكن منع تسكينها استحالة الابتداء بالساكن فحركت بالكسر تخلصا منه فاذا مادخل عليها واو أو فاء رجع المتكلم بها ـ غالبا ـ إلى الأصل وهو السكون ليؤمن تفويت الأصل .

وتسكين هذه اللام بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها ولذلك أجمع القراء على تسكين لام الأمر الواقعة فى القرآن الكريم فى جميع الآيات إلا فى ثلاثة مواضع هى قوله ـ تعالى ـ « ثم ليقضوا تفثهم[٤] » فقد قرأ ورش وقنبل والبصرى والشامي بكسر اللام والباقون بالإسكان[٥]

وقوله ـ تعالى ـ « وليوفوا .. وليطوفوا[٦] » فقد قرأ ابن ذكوان بكسر اللام فيها والباقون بالإسكان[٧]

---

١ ـ من الآية رقم ٢٨٦ من سورة البقرة

٢ ـ من الآية رقم ٧ من سورة الطلاق

٣ ـ من الآية رقم ٧٧ من سورة الزخرف

٥،٤ ـ من الآية رقم ٢٩ من سورة الحج

٦ ٧ ـ غيث النفع فى القراءات السبع ص ٢٩٦

وقوله ـ جل شأنه ـ «وليتمتعوا»[١] فقد قرأ قالون والمكى والأخوان باسكان اللام والباقون بالكسر[٢].

ويقل دخول لام الطلب على فعل فاعل مخاطب استغناء بصيغة (افعل) والكثير دخولها على فعل مالم يسم فاعله ـ مطلقا ـ نحو «لتعن بحاجتى» و «ليزه علينا»

ومن دخولها على فعل فاعل مخاطب قراءة[٣] عثمان بن عفان وأبى، وأنس ـ رضى الله عنهم ـ «فبذلك فلتفرحوا[٤]»

وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لتأخذوا مصافكم[٥]»

ومن دخولها على المضارع المسند إلى المتكلم المفرد قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «قوموا فلأصل لكم[٦]»

---

١ ـ من الآية رقم ٦٦ من سورة العنكبوت

٢ ـ غيث النفع ٣١٩

٣ ـ وردت هذه القراءة فى المحتسب ٣/١ ٣

٤ ـ من الآية رقم ٥٨ من سورة يونس

٥ ـ أخرجه مسلم فى المساجد ١٥٩، الترمذى فى تفسير سورة ٣٨ وأحمد ٢٤٣/٥.

٦ ـ أخرجه البخارى فى باب الصلاة ٢٠. والأذان ١٦١، ومسلم فى المساجد ٢٦٨، وأبو داود فى الصلاة ٧٠، والنسائى فى الإمامة ١٩، ٢٠ ومالك فى الموطأ ٣١ والدرامى فى الصلاة ٦١

ومن دخولها على المضارع المسند إلى جماعة المتكلمين قوله ـ تعـــالى ـ « ولنحمل خطاياكم [١] »

ومن دخول (لا) النهى على فعل المتكلم المفرد قول النابغة الذبيانى [٢]

لاأعرفن ربربا حورا مدامعها مرددات على أحناء أكوار

ومن دخولها على الفعل المضارع المسند إلى جماعة المتكلمين قـــول الشاعر [٣]:

إذا ماخرجنا من دمشق فلا نعد لها أبدا مادام فيها الجراضم

ويكثر استعمال هذا الأسلوب ـ أيضا ـ إذا بنى الفعل المضـــارع للمجهول فيقال : «لا أخرج » و «لاتخرج »

والمنهى فى الحقيقة غير المتكلم إذ هو الفاعل المحذوف النائب عنه ضمير المتكلم ، والأصل لايخرجنى أحد ، ولايخرجنا أحد .

---

١ ـ من الآية رقم ١٢ من سورة العنكبوت.

٢ ـ من البسيط والرواية فى ديوان النابغة ص ٨٢ تخالف هذه الرواية
والربرب : القطيع من بقر الوحش واستعاره للنساء .
الحور : اسوداد العين مثل أعين الظباء والبقر ، الأحناء : الأطراف
الأكوار: جمع كور وهو الرحل .

٣ ـ من الطويل نسبة ابن الشجرى فى أماليه ٢٢٦/٢ للفرزدق ولم أجده فى ديوانه ولا فى زيادات الديوان ، ولم ينسبه العينى فى المقاصد النحوية ٤٢٠/٤ ولا صاحب التصريح الذى استشهد به ٢٤٦/٢ ولا ابن مالك فى شرح الكافية الشافية ١٥٦٧/٣ .

وإنما كثر هذا الأسلوب استعمالا لأنه أبلغ فى الدلالة على المراد لشموله المخاطب وغيره فقول القائل (لاتخرجنى » الفاعل فيه محدد معين ومثله « لاتخرجونى » و « لاتخرجونا »

أما قوله « لأأخرج » و « لانخرج » فالفاعل المحذوف يشمل كل من يقدر على الإخراج من المخاطب أو المخاطبين وغيره أو غيرهم .

الدلالة الزمنية فى اللغة العربية :

قبل أن أنهى الحديث عن الدلالة الزمنية للفعل المضارع رأيت أن ألفت النظر إلى الدلالة الزمنية فى اللغة العربية تلك التي نتجت عن التقسيم الزمنى للأفعال .

فقد قسم النحويون العرب الأفعال العربية من حيث الوقوع والتحقق إلى ماض ، ومضارع ، وأمر ، ولم ينتهوا فيما انتهوا إليه إلى تلك التقريعات التى اصطلح عليها اللغويون الغربيون فى تقسيماتهم للافعال فى لغاتهم الحديثة ، ولم يسيروا فى منهج التقسيم الذى كان معروفا فى اللغات الأوربية القديمة كاللاتينية واليونانية وغيرها .

ودرس المستشرقون الزمان فى اللغات السامية ، كما درسوه فى لغاتهم الأوربية الحديثة وأصولها اللاتينية واليونانية . ولما قابلوا هذه بتلك ورأوا هـــذه الكثرة الوفرة من الصيغ التي تعبر عن الزمن فى اللغات اللاتينية واليونانية واللغات الغربية الحديثة ، ولم يجدوا فى العربية سوى صيغ ثلاث عدوا ذلك قصوراً فى اللغة العربية ، ونقصا فى دلالة أفعالها على الزمن .

ولما كان مقياس الدلالة الزمنية فى لغة ما دليلا على رقيها وتقدمها وجب على العرب وبخاصة المتخصصين منهم فى دراسة اللغة أن يناقشوا هذا الزعم الذى شاع بين المعنيين بدراسة السامية من المستشرقين والذى يدور حول قصور اللغة العربية فى دلالة أفعالها على الزمن .

ومنذ حين تعرض المرحوم الأستاذ العقاد لهذا الموضوع فى محاضرة له نشرت بصحيفة المعلم الأول ، ومن رأى العقاد « أن هذا الاعتقاد وهم

لا يثبت على نظرة محققة فى التاريخ ولا فى اللغة . وربمـــا ساغ فى عقول المتعجلين من مصدقيه لأنهم توهموا أن هذه اللغة نشأت فى صحراء خاوية لا قيمة للوقت عند أهلها [١] » .

وقد حاول الأستاذ العقاد رحمه الله أن يمحو هذا الوهم الذى ران على بعض العقول فشرع يثبت أن العرب قوم أحسوا بقيمة الزمن فعبروا عنه فى دقة حتى أنهم قسموا اليوم إلى أقسام تـــكاد تنحصر بالساعات ووضعوا لكل قسم منها كلمة تدل عليه ، فكان الفجر والشروق ، والبكرة والضحى والغدوة والظهيرة والقائلة والعصر والأصيل . . . . إلى آخر تلك الكلمات التى تكاد تحدد من اليوم ساعات بعينها . والتى لا يوجد لها نظير فى كثير من اللغات الأخرى .

ونرى أن اللغة العربية فرقت بين الأوقات من حيث الطول والقصر تفريقا دقيقا ، فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن ، وتنطوى فيها اللحظة واللمحة للوقت القصير ، والبرهة والردح للوقت الطويل ، والفترة للمدة المعترضة بين وقتين بل وجد فيها الحين للزمن المقصود المعين ، والعهد للزمن المعهود المقترن بمناسباته ، والزمن للدلالة على جنس الوقت كيفما كان ، والدهر للمدة المحيطة بجميع الأزمنة والعهود والأحيان » .

والحق أن هذه الكلمات ونحوها لا تعبر عن الزمن اللغوى بقدر ما تعبر عن دقة اللغة العربية فى التمييز بين الأوقات ، فهى كغيرها من الكلمات مثل

---

١ ـ العدد الثالث من صحيفة المعلم الأول ص ٧ أبريل سنه ١٩٥٨ .

السالف والقادم . . . تلك التى يصحب معناها الزمان Time ولكنها لا تعبر عن الزمن اللغوى Tense .

وتقسيمات العرب لساعات النهار إلى هذه الأقسام العديدة إن دلت على شىء فانما تدل على مدى إحساسهم بقيمة الزمن . ومع هذه تمحى نظرة بعض المستشرقين الذين يقولون بنقص الدلالة الزمنية فى اللغة العربية .

والحقيقة ـ كما تبدو ـ أن المستشرقين لم يتهموا اللغة العربية بالقصور الزمنى لأنهم توهموا ـ كما يقول الأستاذ العقاد ـ أن العرب قوم بداة لا قيمة للزمن عندهم ، ذلك أن المستشرقين لم يتهموا اللغة العربية وحدها بهذا القصور حتى يمكن تعليل اتهامهم لها باعتقادهم أن العرب قوم بداة لم يحسوا بالزمن وإنما ألصقوا هذا النقص باللغات السامية جميعا ، وبعض هذه اللغات شب وترعرع ثم عاش وتطور بعيداً عن الصحراء ، مما يؤيد أن هذا الاتهام كان نتيجة لشىء آخر غير البداوة ذلك الشىء يحتمل أن يكون قلة الصيغ فى هذه اللغات ، وكثرتها فى لغات غربية قديما وحديثا .

ومما لا شك فيه أننا لو أردنا تقسيم الأفعال العربية إلى شىء قريب من التقسيم الآثينى أو اليونانى القديم لتيسر لنا ذلك فى سهولة ويسر .

فالمضارع فى اللغة العربية يدل على الحال ، فاذا ما أضيف إليه السين مثلا ، صار مستقبلا قريبا .

وإذا ما أضيفت إليه (سوف) أصبح مستقبلا بعيداً .

والفعل الماضى إذا ما أضيفت إليه (قد) اكتسب زمنا أكبر منه إذا تجرد منها . . وهكذا .

ولكن النحاة العرب لم يلتفتوا إلى هذه الخاصيةفى الأفعال والمصاحبة للأدوات ، ولذا لم يقسموا الزمن إلى تلك الأقسام العديدة التي توجد فى اللغات الغربية واتخذوا الشكل العام أساسا لتقسيمهم فصنفوا الأفعال من حيث الزمن العام والصيغة ، لا من حيث المعنى الخاص والتفريع الزمنى .

فالصيغة التي تعبر عن الزمان بنفسها لا باضافة حرف أو فعل أو أداة إليها تصنف فى قسم خاص بها .

وفى اعتقادى أن هذا السبب جعلهم يدمجون الحال مع المستقبل في فرع واحد تحت اسم (الفعل المضارع) فى وقت يفردون فيه للأمر بابا مستقلا مع أنهم طابقوا بين تقسيمهم للأفعال والأصول العامة للزمن .

وها هو ذا ابن يعيش يقول (١) :

لما كانت الأفعال مساوقة للزمان . . ولما كان الزمان ثلاثة : ماض ، وحاضر ، ومستقبل ، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك ، فمنها حركة مضت ، ومنها حركة لم تأت ، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية كانت الأفعال ثلاثة : ماض ومستقبل وحاضر » .

فالنحويون العرب قسموا الأفعال إلي ثلاثة من حيث الهيئة والصيغة وهذا القصور فى التقسيم بناء علي حركات الأزمنة الفلكية لا يعنى

---

١ ـ شرح المفصل لابن يعيش جـ ٧ ص ٤ .

بالضرورة القصور فى اللغة ، وإنما يعنى وجهة النظر فى التأليف .

فكل زمن فى اللغات الغربية له ما يماثله فى اللغة العربية ، وإن لم يفرد له النحاة بابا خاصا فى مؤلفاتهم . فعدم التأليف فى الشيء لا يعنى عدم وجوده .

ومن هنا نقول : إن ما لاحظه المستشرقون من عدم وجود صيغ اصطلاحية لبعض الأزمنة فى لغتنا لا يعيبها ، ولا يغض من قيمتها .

فالحقيقة التي لا ينكرها أحد أن اللغة العربية ليس بها نقص فى الاستعمالات الزمنية ، وإن لم تفرد بأبواب مستقلة فى كتب النحو هذه واحدة .

وحقيقة أخرى يجدر أن ننبه إليها وهى أن تعدد الأزمنة فى اللغات الأوربية إنما حدث نتيجة لاستعمال بعض هذه اللغات أفعالا مساعدة مع الفعل .

فليس لهذه الأزمنة تصريفات قائمة بذاتها غير مركبة ، وضعت فى الأصل للدلالة على زمن بعينه ، وإنما هى تركيبات وأساليب متعددة الأجزاء ، والدلالات .

ويستطيع المتأمل فى اللغات الأوربية أن يرد كل هذه الأزمنة إلى أصلين اثنين نشأت عنهما كل هذه الأزمنة باضافة فعل مساعد أو بتحويل الفعل إلى اسم الفاعل ، أو اسم المفعول وإضافة الفعل المساعد إليه .

ولنتخذ لذلك مثلا (كلمة to go) .

لا نستطيع أن نحصل من هذا المصدر إلا على صيغتين اثنتين فقط تدلان على الزمن بلا تركيب أو إضافة هما ما يعرفان بالماضى المنقطع والمضارع المنقطع (go — Went) .

بخلاف اسم الفاعل واسم المفعول :

و باضافة فعل مساعد من الأفعال التي إصطلح على إضافتها مثل (to—be) فى الإنجليزية مثلا إلى تلك الصيغ السابقة تتكون الأزمنة العديدة التي يتوهم بعض الغربيين أنها غير موجودة فى اللغات السامية .

و بالموازنة بين هذه الصيغ و نظيراتها فى اللغة العربية نجد أن اللغة العربيه أغنى فى هذه الناحية من كثير من اللغات الأوربية الراقية .

فاسم الفاعل واسم المفعول ـ مثلا يمكن صوغها من كل فعل عربى بسهولة ويسر وفى دقة متناهية رغم ما امتازت به اللغة العربية من كثرة فى التصريفات فى المادة الواحدة .

فاسم الفاعل من قتل : قاتل

و اسم المفعول منه مقتول .

واسم الفاعل من قاتل مقاتل واسم المفعول منه مقاتل

واسم الفاعل من تقاتل متقاتل واسم المفعول منه متقاتل . . .

وهكذا إلى آخر التصريفات التي يمكن أن يكتسبها الفعل بزيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة على الأصل المجرد .

وبما يستتبع ذلك من اختلاف فى المعنى كما فى فعل مثل (قبل) .

فمعناه يختلف عن أقبل ، وقابل ، وقبل ، وتقبل ، واستقبل ... فكل فعل من هذه الأفعال يفيد معنى يغاير الآخر على الرغم من اتحاد المادة . وكل فعل من هذه الأفعال — أيضا — له اسم فاعل واسم مفعول يختصان به دون غيره من الأفعال .

أما الزيادات التى يمكن إضافتها إلى الفعل أو اسم الفاعل أو اسم المفعول لتعطى أزمنة جديدة يمكن تقسيمها فى لغة مثل الانجليزية إلى ثلاثة أقسام :

أولها : فعل الكينونة الذى يعبر عنه بـ (Verb to be)

وعندنا فى العربية ما يماثله ، وإن كانت اللغة العربية تشترط إضماره بل توجبه فى بعض الحالات تجنبا للتطويل وطلبا لأغراض بلاغية أخرى ويعبر عنه بـ (يكون) و (كان) وبعض أخواتها مثل (مازال) حيث إنها تفيد الاستمرار الذى تفيده (iz, am, are) إذا ما أضيفت لاسم الفاعل .

ثانيها : فعل التمليك الذى يعبر عنه بـ (verb to have) ومثل هذا الأسلوب تؤدى (قد) بعض معانيه إذا سبقها الفعل الماضى .

وتنفرد (قد) بتأدية معان آخر مثل قرب الوقوع نحو قدقامت الصلاة) والتكرار بقله فى نحو (قد يجود البخيل) .

ثالثها : المستقبل ويمثله فى الانجليزية (will and shall)

ويقابل هذا الأسلوب فى العربية المضارع المقترن بالسين و (سوف)

ولا تكتفى العربية بهذا التشابه فى تلك الأزمنة وإنما تنفـرد بوسائلها الأخرى الخاصة فى التعبير عن الزمن فهناك أفعال المقاربة ، وأفعال الشروع وأدوات التحضيض ، وصيغ المطاوعة ... إلى آخر تلك الأساليب الخاصة التى تكاد تنفرد بها اللغة العربية والتى تدعو إلى الدهشة ـ كما قال الاستاذ ﴿ جوزيف فندريس ﴾ عندما نرى فيها هذه المجموعة الكبيرة من الوسائل للتعبير مثلا :

عن السببية :	(Causatif)
والكثرة	(Conatif)
والشدة :	(in tensif)
والتمنى	(desira tif)
والرجاء	(Putatif)
والأمر :	(Jussif)
والمفاعلة	(reciproque)
والمطاوعة :	(rellécki)

ثم قال فندريس :

إن كل هذه المصطلحات الفنيـة لاتزال تشير إلى فصـائل فى الفعل السامى (١) .

وهذا الاعتراف الصريح من أستاذ غربى يدل على أن اللغات السامية لها طريقتها الخاصة فى التعبير .

---

١ — اللغة ج فندريس . تعريب عبد الحميد الدواخلى ، محمد القصاص طبعة الانجلو ص ١٣٥ .

ومما هو جدير بالذكر الإشارة إلى صعوبه ترجمة المضارع التام (The Present Perfect)

فهذا الزمن لايستطيع المتحدث باللغة العربيه التعبير عنه فى بعض الاستعمالات بلا قرينة لفظية تحدد المراد منه وتوضحه ، ويمكن أن نعتبرها بدل الفعل المساعد في الانجليزية .

فجملة (ali has gone) يفهم منها أن عليا ذهب حالا ، أو ذهب وللآن لم يعد ، ومثل هذا المعنى يحتاج إلى النص الصريح عليه فى اللغة العربية أو إلى قرينة تعين المقصود حتي يكون التعبير دقيقا مؤديا للغرض المسوق من أجله .

والحق أن تقسيم النحويين الأفعال العربية إلى ثلاثة أقسام عامة ماض : يدل على انتهاء وقوع الحدث قبل زمن التكلم ومضارع يدل على وقوع الحدث فى الحال مقترنا بالمستقبل ، وأمر يطلب به وقوع الحدث فى المستقبل من خلال صيغة أصليـة لايضاف إليها أداة أخرى . تقسيم أكثر دلالة على الغرض من حيث الشكل ، وأقـرب إلي التقسيم المنطقى المعهود من بعض اللغات الأخرى ، إذ أ المستقبل فى اللغـــات الغربيه ليس ذا صيغة أصلية قائمة بذاتها ، إنما هو عبارة عن الفعل الأصلي مضافا إليه أداة أخرى (Will or shall) أما المستقبل فى اللغة العربية الذي من هذا النوع فيعبر عنه بالمضارع مسبوقا بالسين أو (سوف) فهو من باب المضارع ذى الزمن المستقبل .

أما الأمر فقد أفرد له باب خاص به باعتباره حدثاً مطلوب التحقيق فى المستقبل يعبر عنه بصيغة مستقلة .

وهذا من آثار التفكير الفلسفى ، والمنطقى فى الدراسات اللغوية وكان من جراء ذلك أن أصبح النحاة يوجهون فضل عناية للشكل والهيئة والبنية والصيغة التي تراعى اللفظ بحركاته وسكناته . وتغض الطرف عن المعنى فى كثير من الأحيان مع أن اللغة فى حد ذاتها تهتم بالمعنى أكثر من اهتمامها بالصيغة .

فى أساليب الدعاء كثيراً ما جاء الفعل الماضى مقصوداً به الدعاء فى المستقبل فيقول القائل ـ مثلا ـ (جزاك الله خيراً) وهو يعلم أن الجزاء لم يستوف بعد وإنما هو مطلوب تحقيقه للمخاطب فى المستقبل بعد التكلم ولكنه يستعمل الفعل الماضى عن قصد بلاغي يريد به تأكيد المعنى وتقوية الأمل ، وكأن الفعل المطلوب تحقيقه للمخاطب قد حدث بالفعل قبل التكلم وأصبح حقيقة لا مجرد رجاء .

وكان فى وسع المتكلم أن يقول (يجزيك الله خيراً) مستعملا الفعل المضارع وهو استعمال جائز لغويا ، ولكن الماضي فى هذا المجال أوفى للغرض وأقوى فى إفادة المعنى .

ولو كانت اللغة العربية توجه اهتمامها إلى الفعل وصورته دائما بغض النظر عن أداء المعنى لتحتم على العرب استعمال المضارع بدلا من الماضى حين إرادة الدلالة على معنى يتحقق فى المستقبل بعد زمن التكلم .

وتبادل الأفعال أماكنها فى التعبير عن المعانى استعمال شائع فى كثير من اللغات .

وإذا كان الفعل المضارع كما رأينا يمكن استعماله فى التعبير عن حدث مضى وعن حدث يقع الآن أو سيقع فى المستقبل دون الماضى قد يراد منه المستقبل كما مر فى الدعاء وفى المعانى التى لابد من تحققها كما فى قوله – تعالى – ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ [١].

وقوله ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم . . ﴾ [٢].

هذا فى العربية :

وفى الفرنسية يستطيع المستقبل البسيط التعبير عن الحاضر نحو « Il Scraà Paris àl'heureqàilest » والمعنى : سيكون فى باريس فى الساعة التى نحن فيها .

وقد مر غير بعيد فى حديثنا عن أداة الجزاء أن النحويين لا يشترطون زمانا معينا لفعل الشرط وجوابه ، فليس واجبا أن يكون الشرط والجواب مضارعين فى اللفظ والمعنى ، فقد يكونان كذلك وقد يكونان ماضين فى اللفظ مضارعين فى المعنى ، لأن هذه الأدوات تقلب معنى الماضى وتحوله إلى الاستقبال شرطاً كان أو جوابا . قال – تعالى – ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾ [٣] أى : إن يتبين فى المستقبل أنى كنت قلته فى الماضى فأنا أعلم أنك قد علمت به .

---

١ – من الآية رقم ١ من سورة النحل .

٢ – من الآية رقم ٧٣ من سورة الزمر .

٣ – من الآية رقم ١١٦ من سورة المائدة .

وهذا إن دل على شيء فانما يدل على أن الأزمنة التي تدخل الفعل لا تغير من وضعه .

فالماضي يبقى كما هو وإن دل على المستقبل .

والمضارع يظل مضارعا وإن عبر عن الماضي .

ذلك أن الماضي والمضارع صيغ لا أفكار [١] .

---

١ ـ مناهج البحث في اللغة لتمام حسان ص ٢١١ .

(ولا) فى الدعاء نحو قوله ـ تعالى ـ «لا تؤاخذنا »[١] ويعم به لام الأمر نحو قوله ـ تعالى ـ «لينفق ذو سعة من سعته »[٢] ولام الدعاء نحو قوله جل شأنه ـ « ليقض علينا ربك »[٣]

وللام الطلب الأصالة فى السكون من وجهين :

أحدهما : أنه الأصل ، إذ الحركه زيادة والأصل عدمها .

ثانيهما : المشاكلة بين اللفظ والعمل .

لكن منع تسكينها استحالة الابتداء بالساكن فحركت بالكسر تخلصا منه فاذا مادخل عليها واو أو فاء رجع المتكلم بها ـ غالبا ـ إلى الأصل وهو السكون ليؤمن تفويت الأصل .

وتسكين هذه اللام بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها ولذلك أجمع القراء على تسكين لام الأمر الواقعة فى القرآن الكريم فى جميع الآيات إلا فى ثلاثة مواضع هى قوله ـ تعالى ـ « ثم ليقضوا تفثهم [٤] » فقد قرأ ورش وقنبل والبصرى والشامي بكسر اللام والباقون بالإسكان [٥]

وقوله ـ تعالى ـ « وليوفوا .. وليطوفوا [٦] » فقد قرأ ابن ذكوان بكسر اللام فيها والباقون بالإسكان [٧]

---

١ ـ من الآية رقم ٢٨٦ من سورة البقرة

٢ ـ من الآية رقم ٧ من سورة الطلاق

٣ ـ من الآية رقم ٧٧ من سورة الزخرف

٤، ٥ ـ من الآية رقم ٢٩ من سورة الحج

٦ ٧ ـ غيث النفع فى القراءات السبع ص ٢٩٦

وقوله ـ جل شأنه ـ «وليتمتعوا»[١] فقد قرأ قالون والمكى والأخوان باسكان اللام والباقون بالكسر[٢].

ويقل دخول لام الطلب على فعل فاعل مخاطب استغناء بصيغة (افعل) والكثير دخولها على فعل مالم يسم فاعله ـ مطلقا ـ نحو «لتعن بحاجتى» و «ليزه علينا»

ومن دخولها على فعل فاعل مخاطب قراءة[٣] عثمان بن عفان وأبى، وأنس ـ رضى الله عنهم ـ «فبذلك فلتفرحوا[٤]»

وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لتأخذوا مصافكم[٥]»

ومن دخولها على المضارع المسند إلى المتكلم المفرد قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «قوموا فلأصل لكم[٦]

---

١ ـ من الآية رقم ٦٦ من سورة العنكبوت

٢ ـ غيث النفع ٣١٩

٣ ـ وردت هذه القراءة فى المحتسب ٣/١ ٣

٤ ـ من الآية رقم ٥٨ من سورة يونس

٥ ـ أخرجه مسلم فى المساجد ١٥٩، الترمذى فى تفسير سورة ٣٨ وأحمد ٢٤٣/٥.

٦ ـ أخرجه البخارى فى باب الصلاة ٢٠. والأذان ١٦١، ومسلم فى المساجد ٢٦٠، وأبو داود فى الصلاة ٧٠، والنسائى فى الإمامة ١٩، ٢٠ ومالك فى الموطأ ٣١ والدرامي فى الصلاة ٦١

ومن دخولها على المضارع المسند إلى جماعة المتكلمين قوله ـ تعـــالى ـ « ولنحمل خطاياكم [١] »

ومن دخول (لا) النهى على فعل المتكلم المفرد قول النابغة الذبيانى [٢]

لاأعرفن ربربا حورا مدامعها مردفات على أحناء أكوار

ومن دخولها على الفعل المضارع المسند إلى جماعة المتكلمين قـــول الشاعر [٣]:

إذا ماخرجنا من دمشق فلا نعد لها أبدا مادام فيها الجراضم

ويكثر استعمال هذا الأسلوب ـ أيضا ـ إذا بنى الفعل المضـــارع للمجهول فيقال : «لا أخرج » و «لاتخرج »

والمنهى فى الحقيقة غير المتكلم إذ هو الفاعل المحذوف النائب عنه ضمير المتكلم ، والأصل لايخرجنى أحد ، ولايخرجنا أحد .

---

١ ـ من الآية رقم ١٢ من سورة العنكبوت.

٢ ـ من البسيط والرواية فى ديوان النابغة ص ٨٢ تخالف هذه الرواية والربرب : القطيع من بقر الوحش واستعاره للنساء .
الحور : اسوداد العين مثل أعين الظباء والبقر ، الأحناء : الأطراف
الأكوار: جمع كور وهو الرحل .

٣ ـ من الطويل نسبة ابن الشجرى فى أماليه ٢٢٦/٢ للفرزدق ولم أجده فى ديوانه ولا فى زيادات الديوان ، ولم ينسبه العينى فى المقاصد النحوية ٤٢٠/٤ ولا صاحب التصريح الذى استشهد به ٢٤٦/٢ ولا ابن مالك فى شرح الكافية الشافية ١٥٦٧/٣ .

وإنما كثر هذا الأسلوب استعمالا لأنه أبلغ فى الدلالة على المراد لشموله المخاطب وغيره فقول القائل (لاتخرجنى » الفاعل فيه محدد معين ومثله « لاتخرجونى » و « لاتخرجونا »

أما قوله « لأأخرج » و « لانخرج » فالفاعل المحذوف يشمل كل من يقدر على الإخراج من المخاطب أو المخاطبين وغيره أو غيرهم .

الدلالة الزمنية فى اللغة العربية :

قبل أن أنهى الحديث عن الدلالة الزمنية للفعل المضارع رأيت أن ألفت النظر إلى الدلالة الزمنية فى اللغة العربية تلك التي نتجت عن التقسيم الزمنى للأفعال .

فقد قسم النحويون العرب الأفعال العربية من حيث الوقوع والتحقق إلى ماض ، ومضارع ، وأمر ، ولم ينتهوا فيما انتهوا إليه إلى تلك التفريعات التى اصطلح عليها اللغويون الغربيون فى تقسيماتهم للافعال فى لغاتهم الحديثة ، ولم يسيروا فى منهج التقسيم الذى كان معروفا فى اللغات الأوربية القديمة كاللاتينية واليونانية وغيرها .

ودرس المستشرقون الزمان فى اللغات السامية ، كما درسوه فى لغاتهم الأوربية الحديثة وأصولها اللاتينية واليونانية . ولما قابلوا هذه بتلك ورأوا هـــذه الكثرة الوفرة من الصيغ التي تعبر عن الزمن فى اللغات اللاتينية واليونانية واللغات الغربية الحديثة ، ولم يجدوا فى العربية سوى صيغ ثلاث عدوا ذلك قصوراً فى اللغة العربية ، ونقصا فى دلالة أفعالها على الزمن .

ولما كان مقياس الدلالة الزمنية فى لغة ما دليلا على رقيها وتقدمها وجب على العرب وبخاصة المتخصصين منهم فى دراسة اللغة أن يناقشوا هذا الزعم الذى شاع بين المعنيين بدراسة السامية من المستشرقين والذى يدور حول قصور اللغة العربية فى دلالة أفعالها على الزمن .

ومنذ حين تعرض المرحوم الأستاذ العقاد لهذا الموضوع فى محاضرة له نشرت بصحيفة المعلم الأول ، ومن رأى العقاد « أن هذا الاعتقاد وهم

لا يثبت على نظرة محققة فى التاريخ ولا فى اللغة . وربمـــا ساغ فى عقول المتعجلين من مصدقيه لأنهم توهموا أن هذه اللغة نشأت فى صحراء خاوية لا قيمة للوقت عند أهلها [١] » .

وقد حاول الأستاذ العقاد رحمه الله أن يمحو هذا الوهم الذى ران على بعض العقول فشرع يثبت أن العرب قوم أحسوا بقيمة الزمن فعبروا عنه فى دقة حتى أنهم قسموا اليوم إلى أقسام تـــكاد تنحصر باساعات ووضعوا لكل قسم منها كلمة تدل عليه ، فكان الفجر والشروق ، والبكرة والضحى والغدوة والظهيرة والقائلة والعصر والأصيل . . . . إلى آخر تلك الكلمات التى تكاد تحدد من اليوم ساعات بعينها . والتى لا يوجد لها نظير فى كثير من اللغات الأخرى .

ونرى أن اللغة العربية فرقت بين الأوقات من حيث الطول والقصر تفريقا دقيقا ، فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن ، وتنطوى فيها اللحظة واللمحة للوقت القصير ، والبرهة والردح للوقت الطويل ، والفترة للمدة المعترضة بين وقتين بل وجد فيها الحين للزمن المقصود المعين ، والعهد للزمن المعهود المقترن بمناسباته ، والزمن للدلالة على جنس الوقت كيفما كان ، والدهر للمدة المحيطة بجميع الأزمنة والعهود والأحيان » .

والحق أن هذه الكلمات ونحوها لا تعبر عن الزمن اللغوى بقدر ما تعبر عن دقة اللغة العربية فى التميز بين الأوقات ، فهى كغيرها من الكلمات مثل

---

١ ـ العدد الثالث من صحيفة المعلم الأول ص ٧ أبريل سنه ١٩٥٨ .

السالف والقادم . . . تلك التى يصحب معناها الزمان Time ولكنها لا تعبر عن الزمن اللغوى Tense .

وتقسيمات العرب لساعات النهار إلى هذه الأقسام العديدة إن دلت على شيء فانما تدل على مدى إحساسهم بقيمة الزمن . ومع هذه تمحى نظرة بعض المستشرقين الذين يقولون بنقص الدلالة الزمنية فى اللغة العربية .

والحقيقة ـ كما تبدو ـ أن المستشرقين لم يتهموا اللغة العربية بالقصور الزمنى لأنهم توهموا ـ كما يقول الأستاذ العقاد ـ أن العرب قوم بداة لا قيمة للزمن عندهم ، ذلك أن المستشرقين لم يتهموا اللغة العربية وحدها بهذا القصور حتى يمكن تعليل اتهامهم لها باعتقادهم أن العرب قوم بداة لم يحسوا بالزمن وإنما ألصقوا هذا النقص باللغات السامية جميعا ، وبعض هذه اللغات شب وترعرع ثم عاش وتطور بعيداً عن الصحراء ، مما يؤيد أن هذا الاتهام كان نتيجة لشيء آخر غير البداوة ذلك الشيء يحتمل أن يكون قلة الصيغ فى هذه اللغات ، وكثرتها فى لغات غربية قديما وحديثا .

ومما لا شك فيه أننا لو أردنا تقسيم الأفعال العربية إلى شيء قريب من التقسيم الآثينى أو اليونانى القديم لتيسر لنا ذلك فى سهولة ويسر .

فالمضارع فى اللغة العربية يدل على الحال ، فاذا ما أضيف إليه السين مثلا ، صار مستقبلا قريبا .

وإذا ما أضيفت إليه (سوف) أصبح مستقبلا بعيداً .

والفعل الماضى إذا ما أضيفت إليه (قد) اكتسب زمنا أكبر منه إذا تجرد منها . . وهكذا .

ولكن النحاة العرب لم يلتفتوا إلى هذه الخاصيةفى الأفعال والمصاحبة للأدوات ، ولذا لم يقسموا الزمن إلى تلك الأقسام العديدة التي توجد فى اللغات الغربية واتخذوا الشكل العام أساسا لتقسيمهم فصنفوا الأفعال من حيث الزمن العام والصيغة ، لا من حيث المعنى الخاص والتفريع الزمنى .

فالصيغة التي تعبر عن الزمان بنفسها لا باضافة حرف أو فعل أو أداة إليها تصنف فى قسم خاص بها .

وفى اعتقادى أن هذا السبب جعلهم يدمجون الحال مع المستقبل فى فرع واحد تحت اسم (الفعل المضارع) فى وقت يفردون فيه للأمر بابا مستقلا مع أنهم طابقوا بين تقسيمهم للأفعال والأصول العامة للزمن .

وها هو ذا ابن يعيش يقول [1] :

لما كانت الأفعال مساوقة للزمان . . ولما كان الزمان ثلاثة : ماض ، وحاضر ، ومستقبل ، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك ، فمنها حركة مضت ، ومنها حركة لم تأت ، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية كانت الأفعال ثلاثة : ماض ومستقبل وحاضر » .

فالنحويون العرب قسموا الأفعال إلى ثلاثة من حيث الهيئة والصيغة وهذا القصور فى التقسيم بناء على حركات الأزمنة الفلكية لا يعنى

---

١ ـ شرح المفصل لابن يعيش جـ ٧ ص ٤ .

بالضرورة القصور فى اللغة ، وإنما يعنى وجهة النظر فى التأليف .

فكل زمن فى اللغات الغربية له ما يماثله فى اللغة العربية ، وإن لم يفرد له النحاة بابا خاصا فى مؤلفاتهم ، فعدم التأليف فى الشيء لا يعني عدم وجوده .

ومن هنا نقول : إن ما لاحظه المستشرقون من عدم وجود صيغ اصطلاحية لبعض الأزمنة فى لغتنا لا يعيبها ، ولا يغض من قيمتها .

فالحقيقة التي لا ينكرها أحد أن اللغة العربية ليس بها نقص فى الاستعمالات الزمنية ، وإن لم تفرد بأبواب مستقلة فى كتب النحو هذه واحدة .

وحقيقة أخرى يجدر أن ننبه إليها وهى أن تعدد الأزمنة فى اللغات الأوربية إنما حدث نتيجة لاستعمال بعض هذه اللغات أفعالا مساعدة مع الفعل .

فليس لهذه الأزمنة تصريفات قائمة بذاتها غير مركبة ، وضعت فى الأصل للدلالة على زمن بعينه ، وإنما هى تركيبات وأساليب متعددة الأجزاء ، والدلالات .

ويستطيع المتأمل فى اللغات الأوربية أن يرد كل هذه الأزمنة إلى أصلين اثنين نشأت عنهما كل هذه الأزمنة باضافة فعل مساعد أو بتحويل الفعل إلى اسم الفاعل ، أو اسم المفعول وإضافة الفعل المساعد إليه .

ولنتخذ لذلك مثلا (كلمة go ; to) .

لا نستطيع أن نحصل من هذا المصدر إلا على صيغتين اثنتين فقط تدلان على الزمن بلا تركيب أو إضافة هما ما يعرفان بالماضى المنقطع والمضارع المنقطع (go — Went) .

بخلاف اسم الفاعل واسم المفعول :

وباضافة فعل مساعد من الأفعال التي إصطلح على إضافتها مثل (to—be) فى الإنجليزية مثلا إلي تلك الصيغ السابقة تتكون الأزمنة العديدة التي يتوهم بعض الغربيين أنها غير موجودة فى اللغات السامية .

وبالموازنة بين هذه الصيغ ونظيراتها فى اللغة العربية نجد أن اللغة العربيه أغنى فى هذه الناحية من كثير من اللغات الأوربية الراقية .

فاسم الفاعل واسم المفعول ـ مثلا يمكن صوغها من كل فعل عربى بسهولة ويسر وفى دقة متناهية رغم ما امتازت به اللغة العربية من كثرة فى التصريفات فى المادة الواحدة .

فاسم الفاعل من قتل : قاتل

واسم المفعول منه مقتول .

واسم الفاعل من قاتل مقاتل واسم المفعول منه مقاتل

واسم الفاعل من تقاتل متقاتل واسم المفعول منه متقاتل . . .

وهكذا إلي آخر التصريفات التي يمكن أن يكتسبها الفعل بزيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة على الأصل المجرد .

وبما يستتبع ذلك من اختلاف فى المعنى كما فى فعل مثل (قبل) .

فمعناه يختلف عن أقبل ، وقابل ، وقبل ، وتقبل ، واستقبل ... فكل فعل من هذه الأفعال يفيد معنى يغاير الآخر على الرغم من اتحاد المادة . وكل فعل من هذه الأفعال — أيضا — له اسم فاعل ، واسم مفعول يختصان به دون غيره من الأفعال .

أما الزيادات التى يمكن إضافتها إلى الفعل أو اسم الفاعل أو اسم المفعول لتعطى أزمنة جديدة يمكن تقسيمها فى لغة مثل الانجليزية إلى ثلاثة أقسام :

أولها : فعل الكينونة الذى يعبر عنه بـ (Verb to be)

وعندنا فى العربية ما يماثله ، وإن كانت اللغة العربية تشترط إضماره بل توجبه فى بعض الحالات تجنبا للتطويل وطلبا لأغراض بلاغية أخرى ويعبر عنه بـ (يكون) و (كان) وبعض أخواتها مثل (مازال) حيث إنها تفيد الاستمرار الذى تفيده (iz, am, are) إذا ما أضيفت لاسم الفاعل .

ثانيها : فعل التمليك الذى يعبر عنه بـ (verb to have) ومثل هذا الأسلوب تؤدى (قد) بعض معانيه إذا سبقها الفعل الماضى .

وتنفرد (قد) بتأدية معان آخر مثل قرب الوقوع نحو قدقامت الصلاة) والتكرار بقله فى نحو ، قد يجود البخيل) .

ثالثها : المستقبل ويمثله فى الانجليزية (will and shall)

ويقابل هذا الأسلوب فى العربية المضارع المقترن بالسين و (سوف)

ولا تكتفى العربية بهذا التشابه فى تلك الأزمنة وإنما تنفرد بوسائلها الأخرى الخاصة فى التعبير عن الزمن فهناك أفعال المقاربة ، وأفعال الشروع وأدوات التحضيض ، وصيغ المطاوعة ... إلى آخر تلك الأساليب الخاصة التى تكاد تنفرد بها اللغة العربية والتى تدعو إلى الدهشة ـ كما قال الاستاذ ﴿ جوزيف فندريس ﴾ عندما نرى فيها هذه المجموعة الكبيرة من الوسائل للتعبير مثلا :

عن السببية : (Causatif)

والكثرة (Conatif)

والشدة (in tensif)

والتمنى : (desira tif)

والرجاء : (Putatif)

والأمر : (Jussif)

والمفاعلة (reciproque)

والمطاوعة : (rellécki)

ثم قال فندريس :

إن كل هذه المصطلحات الفنية لاتزال تشير إلى فصائل فى الفعل السامى (١) .

وهذا الاعتراف الصريح من أستاذ غربى يدل على أن اللغات السامية لها طريقتها الخاصة فى التعبير .

---

١ — اللغة ج فندريس . تعريب عبد الحميد الدواخلى ، محمد القصاص طبعة الانجلو ص ١٣٥ .

ومما هو جدير بالذكر الإشارة إلى صعوبه ترجمة المضارع التام (The Present Perfect)

فهذا الزمن لايستطيع المتحدث باللغة العربيه التعبير عنه في بعض الاستعمالات بلا قرينة لفظية تحدد المراد منه وتوضحه ، ويمكن أن نعتبرها بدل الفعل المساعد في الانجليزية .

فجملة (ali has gone) يفهم منها أن عليا ذهب حالا ، أو ذهب وللآن لم يعد ، ومثل هذا المعنى يحتاج إلى النص الصريح عليه في اللغة العربية أو إلى قرينة تعين المقصود حتى يكون التعبير دقيقا مؤديا للغرض المسوق من أجله .

والحق أن تقسيم النحويين الأفعال العربية إلى ثلاثة أقسام عامة ماض : يدل على انتهاء وقوع الحدث قبل زمن التكلم ومضارع يدل على وقوع الحدث في الحال مقترنا بالمستقبل ، وأمر يطلب به وقوع الحدث في المستقبل من خلال صيغة أصليـة لايضاف إليها أداة أخرى . نقسيم أكثر دلالة على الغرض من حيث الشكل ، وأقرب إلى التقسيم المنطقى المعهود من بعض اللغات الأخرى ، إذ أ المستقبل فى اللغـــات الغربيه ليس ذا صيغة أصلية قائمة بذاتها ، إنما هو عبارة عن الفعل الأصلي مضافا إليه أداة أخرى (Will cr shall) أما المستقبل فى اللغة العربية الذي من هذا النوع فيعبر عنه بالمضارع مسبوقا بالسين أو (سوف) فهو من باب المضارع ذى الزمن المستقبل .

أما الأمر فقد أفرد له باب خاص به باعتباره حدثاً مطلوب التحقيق فى المستقبل يعبر عنه بصيغة مستقلة .

وهذا من آثار التفكير الفلسفى ، والمنطقى فى الدراسات اللغوية وكان من جراء ذلك أن أصبح النحاة يوجهون فضل عناية للشكل والهيئة والبنية والصيغة التي تراعى اللفظ بحركاته وسكناته . وتغض الطرف عن المعنى فى كثير من الأحيان مع أن اللغة فى حد ذاتها تهتم بالمعنى أكثر من اهتمامها بالصيغة .

فى أساليب الدعاء كثيراً ما جاء الفعل الماضى مقصوداً به الدعاء فى المستقبل فيقول القائل ـ مثلا ـ (جزاك الله خيراً) وهو يعلم أن الجزاء لم يستوف بعد وإنما هو مطلوب تحقيقه للمخاطب فى المستقبل بعد التكلم ولكنه يستعمل الفعل الماضى عن قصد بلاغي يريد به تأكيد المعنى وتقوية الأمل ، وكأن الفعل المطلوب تحقيقه للمخاطب قد حدث بالفعل قبل التكلم وأصبح حقيقة لا مجرد رجاء .

وكان فى وسع المتكلم أن يقول (يجزيك الله خيراً) مستعملا الفعل المضارع وهو استعمال جائز لغويا ، ولكن الماضي فى هذا المجال أوفى للغرض وأقوى فى إفادة المعنى .

ولو كانت اللغة العربية توجه اهتمامها إلى الفعل وصورته دائما بغض النظر عن أداء المعنى لتحتم على العرب استعمال المضارع بدلا من الماضى حين إرادة الدلالة على معنى يتحقق فى المستقبل بعد زمن التكلم .

وتبادل الأفعال أماكنها فى التعبير عن المعانى استعمال شائع فى كثير من اللغات .

وإذا كان الفعل المضارع كما رأينا يمكن استعماله فى التعبير عن حدث مضى وعن حدث يقع الآن أو سيقع فى المستقبل دون الماضى قد يراد منه المستقبل كما مر فى الدعاء وفى المعانى التي لابد من تحققها كما فى قوله – تعالى – ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ [١].

وقوله ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلي الجنـــه زمراً حتي إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم . . ﴾ [٢].

هذا فى العربية :

وفى الفرنسية يستطيع المستقبل البسيط التعبير عن الحـــاضر نحو « Il Scraà Paris àl'heureqàilest » والمعنى : سيكون في باريس فى الساعة التي نحن فيها .

وقد مر غير بعيد فى حديثنا عن أداة الجزاء أن النحويين لا يشترطون زمانا معينا لفعل الشرط وجوابه ، فليس واجبا أن يكون الشرط والجواب مضارعين فى اللفظ والمعنى ، فقد يكونان كذلك وقد يكونان ماضين فى اللفظ مضارعين فى المعني ، لأن هذه الأدوات تقلب معنى الماضى وتحوله إلي الاستقبال شرطاً كان أو جوابا . قال – تعالي – ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾ [٣] أى : إن يتبين فى المستقبل أنى كنت قلته في الماضى فأنا أعلم أنك قد علمت به .

---

١ – من الآية رقم ١ من سورة النحل .

٢ – من الآية رقم ٧٣ من سورة الزمر .

٣ – من الآية رقم ١١٦ من سورة المائدة .

وهذا إن دل على شيء فانما يدل على أن الأزمنة التى تدخل الفعل لا تغير من وضعه .

فالماضى يبقى كما هو وإن دل على المستقبل .

والمضارع يظل مضارعا وإن عبر عن الماضى .

ذلك أن الماضى والمضارع صيغ لا أفكار [1] .

---

١ ـ مناهج البحث فى اللغة لتمام حسان ص ٢١١ .